الحياة البرزخية بين المثبتين والنافيين

الدكتورة

ليلى سليمان علي بكر

مدرس العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

جامعة الأزهر

الحياة البرزخية بين المثبتين والنافيين

د. ليلى سليمان علي بكر

مقدمة

الحمـــد لله الـــذي قصم بالموت رؤوس الجبابرة وجعل القبر أول منازل الآخـــرة ، والـــصلاة والسلام علي خاتم النبيين والمرسلين وعلي آله وصحبه والتابعـــين بإحـــسان إلي يوم الدين الذين أعدوا للأمر عدته، وأخذوا له أهبته فأكثروا من العبادة والذكر.

ويعـــــــــد

فلما كان في ذكر الحياة البرزخية فائدة للمكلفين "لأنهم متي علموا أنهم أن أقدمـــوا علي المقبحات وأخلوا بالواجبات عُجّل لهم العذاب فعذبوا في القبر ثم بعد ذلـــك في نار جهنم كان ذلك صارفاً لهم عن القبائح داعياً إلي الواجبات"[١] خاصة فـــي هذا العصر الذي طغت فيه المادة وانشغل الناس بمفاتن الحياة وزخارفها عن ذكـــر المـــوت ومـــا يليه من حياة برزخية حيث ضمة القبر وسؤال الملكين وما يحـــدث بعـــدهما مـــن نعـــيم أو عـــذاب وهذا كان سبب اختياري للكتابة في هذا الموضـــوع الذي قسمته إلي مقدمة وثلاثة مباحث. **تحدثت في المبحث الأول** عن مفهـــوم المـــوت وأنواعه باعتباره البداية والمقدمة للحياة البرزخية، وحكم منكره

---

(١) شـــرح الأصـــول الخمسة صـــ٧٣٢،٧٣٣ القاضي عبد الجبار بن أحمد ت عبد الكريم عثمان تعليق الإمام الحسين بن أبي هاشم،ط مكتبة وهبه ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

بالمعنـــى الذي قرره القرآن الكريم، وعن مذاهب العلماء في مسألة أجل المقتول، وكذا مذاهبهم في مسألة من يتولى قبض الأرواح .

أمـــا المبحث الثاني: فتحدثت فيه عن مفهوم حياة البرزخ، وضغطة القبر، وسؤال الملكين والمستثنون منه.

كمـــا تحدثت في **المبحث الثالث** عن الآراء في ثبوت عذاب القبر ونعيمه، وعـــن الأسباب المنجية منه واختلاف المتكلمين حول إعادة الروح إلى الجسد في القبر ثم عن الحكمة في عدم سماع الإنسان لعذاب القبر.

المبحث الأول

مفهوم الموت

لاشك أن الموت هو المقدمة للحياة البرزخية، فالحياة البرزخية لا تكون إلا بعد الموت ، ولما كان الأمر كذلك فينبغي علينا قبل أن نتكلم عن هذه الحياة أن نبدأ بتعريف الموت.

فالموت في اللغة : "يطلق علي السكوت، فكل ما سكن فقد مات يقال : ماتت الخمر إذا سكن غليانها، وفي حديث دعاء الانتباه "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور"[١] وسمي النوم موتاً لأنه يزول معه العقل والحركة، والموت والموتان ضد الحياة يقال : مات الحي موتاً إذا فارقته الحياة كما يطلق أيضاً علي الحزن والخوف مثل قوله تعالي﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[٢] والموت من الأرض هي الأرض التي لم تزرع ولم يَجْرِ عليها ملك لأحد يقال : صارت الأرض مواتاً إذا خلت من العمارة والسكان والزرع.[٣]

---

(١) صحيح البخاري كتاب الاستئذان – باب ما يقول إذا نام ح ٥٩٥٣ ، وصحيح مسلم – باب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ح ٢٧١١

(٢) سورة إبراهيم :آية/١٧.

(٣) انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة موت ، جـ٦ صـ٤٢٩٦ ط دار المعارف ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس أحمد بن علي المقري الفيومي، ت عبد العظيم الشناوي ط. دار المعرفة ط. ٢ .

المفهوم الاصطلاحي للموت :

اختلفت التعريفات الاصطلاحية للموت تبعاً لاختلاف معتقد أصحابها ، فالماديين أو الملحدين يقولون أن الموت " هو العدم وأنه لا حشر ولا عاقبة للخير والشر، وإن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات " [١] .

وقد رفض أصحاب هذا الاتجاه القول بوجود روح منفصل عن الجسم ومن ثم أرجعوا حدوث الموت إلى أسباب مادية منها:

١ – أن سبب الموت هو فقدان الجسم لفاعليته ، أو انتهاء عمل الأجزاء التركيبية ، أو تجمد الأنسجة العصبية ، أو حلول المواد الزلالية القليلة الحركة محل الكثير الحركة " [٢] .

وقد ناقش الأستاذ وحيد الدين خان هذه الأسباب التي ذكروها مناقشة علمية بين فيها خطأ رأيهم ومنها قوله: " يدعي بعض العلماء أن الأنسجة العصبية هي سبب الموت؛ لأنها تبقى في الجسم إلى آخر الحياة ولا تتجدد، ولو صح هذا التفسير القائل بأن النظام العصبي هو نقطة الضعف في الجسم الإنساني فمن الممكن أن نزعم أن أي جسم خال من النظام العصبي لا بد أن يحيا عمراً أطول من الأجسام ذات النظام العصبي ، ولكن المشاهدة العلمية لا

(1) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج ٤ ص ٤٧٧ ط. مكتبة زهران – القاهرة .

(2) الإسلام يتحدى ، أ/ وحيد الدين خان – ترجمة ظفر الدين خان ص ٧٣ ط ٤ – المختار الإسلامي القاهرة ١٩٧٣م .

تـؤيدنا ؛ لأن هـذا النظام العصبي لا يوجد مثلاً في الأشجار وبعضها يعيش لأطول مدة، وشجرة القمح التي لا يوجد بها هذا النظام العصبي لا تعيش أكثر مـن سنة ، وليس في كائن " الأميبا" جهاز عصبي ومع ذلك لا تبقى على قيد الحـياة أكثر من نصف ساعة. هذا على فرض أن الأنسجة العصبية هي نقطة الضعف في الجسم الإنساني وكلما كانت ضعيفة أو من نسل أقل كانت عرضة للعمر القصير ، وقد بان فساده علمياً ، أما على فرض أنه كلما كانت الأنسجة العـصبية موجودة في كائن ما بشكل أجود وأكمل كانت فرصة العمر أطول مـن تلك التي هي أصغر نسلاً ونظاماً فإن الحقائق العلمية لا تؤيد هذا أيضاً ؛ لأن الـسلحفاة والتمساح وسمكة تاتيك أطول عمراً من أي حيوان آخر وكلها من النوع الثاني صغير النسل وضعيف النظام " [١] .

أمـا قـولهم إن المـوت هو فقدان الجسم لفاعليته بناءً على أن الجسم الإنـساني كـأي شـيء مـادي آخـر، فالأقمـشة مـثلاً، والآلات الحديدية والمـصنوعات الجلدية وغيرها " تفقد فاعليتها بعد أجل محدد فكذلك أجسامنا تبلى وتفقد فاعليتها " [٢] .

فالجـواب علـيه هو ما ذكره الأستاذ وحيد الله خان بقوله : " إن العلم الحـديث لا يـؤيد ذلك ؛ لأن المشاهدة العلمية للجسم الإنساني تؤكد أنه ليس كالجلـود الحيوانـية والآلات الحديديـة .. وأن أقرب شيء يمكن أن يشبه به

---

(1) الإسلام يتحدى ص ٧٣، ٧٤ .

(2) المرجع السابق ص ٩٢ .

الجسم الإنساني هو النهر الجاري منذ آلاف السنين الذي لا يستطيع أي إنسان أن يصفه بالوهن أو البلاء أو العجز .

فخلايا أجسامنا في تجدد دائم ومستمر طوال الحياة ،وكذلك دمائنا تتجدد كلــياً خـــلال أربـــع سنوات، ومن ثم تبطل هذه النظريات التي تقول بأن علة الموت هي ضعف الجسم وفقده لقوته " [١] .

٢ – القائلون بالموت البدني والبعث الروحاني :

وهـــؤلاء يقولـــون إن الموت يقع على البدن فقط ، وإن الروح باقية لا تـــنعدم بالمـــوت ،وإنمـــا المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد ، وأن الأجساد لا تنبعث ولا تحشر أصلا " [٢] .

وهذا هو قول أكثر الفلاسفة الإلهيين الذين رأوا أن الإنسان بالحقيقة هو الــنفس الــناطقة المجـــردة ، وان البدن آلة لهذا النفس تستعمله وتتصرف فيه لاســـتكمال جوهـــرها ، فالنفس الناطقة لا تقبل الفناء أي العدم بعد وجودها ؛ لأنهـــا بـــسيطة" [٣] وحجـــتهم في ذلك أنهم لا يملكون القول البرهاني بالمعاد البدنـــي ؛ لأن الحكم عندهم للعقل في المقام الأول ولذلك نجدهم يقولون : إن العقل عاجز عن إقامة الدليل على هذا النوع ، أما المعاد الروحي ففضلاً على

---

(1) انظر المرجع السابق ص ٩٣ .

(2) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٧٧ .

(3) الفلسفة الإسلامية في المشرق د. فيصل بدير عون ص ٢٣٧.

أن الـــشريعة أثبتـــته وأكدته فإن العقل بوسعه أن يقيم الأدلة التي تؤكد وجوده وحقيقته " (١) .

وهذا ظن فاسد ومائل عن الحق إذ القرآن الكريم قد أثبت أن البعث يقع علـــى الـــروح والجـــسد معاً وإلا فكيف تفسر شهادة الحواس والأعضاء على صاحبها في الآخرة .

قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ* بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّـــسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ (٢) .

المفهوم الاصطلاحي للموت عند المتكلمين:

" تصور الديانات السماوية الموت على أنه إشارة البدأ إلى رحلة طويلة ينتقل فيها الإنسان من هذه الدنيا إلى عالم الخلود حيث يجازي كل إنسان هناك بما عمل من خير أو شر .... وليس من خلاف بين الديانات السماوية كلها في تقريـــر هـــذه الحقـــيقة، وتوكيدها وتكاد تكون دعوة الرسل – بعد الدعوة إلى الإيمان بالله. منحصرة في توجيه الناس إلى الإيمان بما بعد الموت ، والإعداد لـــه " (٣). وحسبنا هنا أن نعرض بعضاً من آراء المتكلمين في هذا الموضوع ويتجلى ذلك فيما يأتي :

---

(1) مذاهب فلاسفة المشرق د. عاطف العراقي ص ٢٧٩ ط. دار المعارف .

(2) سورة القيامة الآيتان ٣ ، ٤ .

(3) الله والإنسان ص ٢١٧ ، عبد الكريم الخطيب ط. دار الفكر العربي .

١ – عــرف أكثــر أهل السنة الموت بأنه " صفة وجودية قائمة بالميت يمكن رؤيتها تمنع اتصافه بالإدراك وعلى هذا فالتقابل بين الحياة والموت من تقابل الضدين " [١].

يقــول الإمــام الأشــعري: إنــه " كيفية أي صفة وجودية تضاد الحياة فالتقابل بينهما تقابل التضاد[٢].

يقــول الإمــام الرازي: " قال أصحابنا : أنه صفة وجودية مضادة للحياة، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ** ﴾[٣]. والعدم لا يكون مخلوقا "[٤]. فخلق الشيء إيجاده وقد وقع الخلق على الموت وعلى الحياة معاً فهما أمران وجوديان.... كما أن الموت في الآية ضد الحياة والحياة أمر وجودي لأنها حركة وحس ونماء وكلها أمور وجودية.

وهــذا التعــريف يتوافق مع رأي الجرجاني في قوله إن الموت هو: " صفة وجودية خلقت ضد الحياة " [٥].

---

(1) حاشــية علــى شرح أم البراهين محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ص ١٤٢ ط. الحلبي الطبعة الأخيرة ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م .

(2) تحفــة المريد على جوهر التوحيد للشيخ إبراهيم بن أحمد البيجوري ص ٩٩ طبعة مصطفى الحلبي الطبعة الأخيرة ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م .

(3) سورة الملك آية ٢ .

(4) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للإمام أبي بكر الرازي ج٣ ص ١٠٠ ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(5) التعــريفات للجرجاني على بن محمد بن علي ت. إبراهيم الإبياري ط. دار الكتاب العربي ط١ ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

وذهب الإسفراييني من أهل السنة والزمخشري من المعتزلة إلى أن الموت أمر عدمي وعرفاه بأنه : عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً فالتقابل بينهما تقابل العدم والملكة " [١].

يقول الزمخشري : " الحياة ما يصح لوجوده الإحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حياً وهو الذي يصح منه أن يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ، ومعنى خلقه الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح أو إعدامه" [٢].

وقد خطّأ الإمام أحمد بن المنير الإمام الزمخشري في تفسيره للموت بأنه عدم " لأن معتقد أهل السنة أنه أمر وجودي يضاد الحياة فكيف يكون العدم بهذه المثابة ، ولو كان العدم مخلوقاً حادثاً وعدم الحوادث مقرراً أزلاً للزم قطع الحوادث أزلاً " [٣].

وقد ذكر الإمام الغزالي بعض التعريفات للموت منها أنه تغير حال فقط ، أو أنه عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها.

٣ - أو إن الموت هو انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آله له ، كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة

---

(1) تحفة المريد على جوهر التوحيد ص ٩٩ .

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام الزمخشري ج ٤ ص ٥٧٥ ط. دار الريان .

(3) الإنصاف على هامش الكشاف ج ٤ ص ٥٧٥ للإمام أحمد بن المنير الإسكندري.

فالموت زمانه مطلقة في الأعضاء كلها (١).

وقال الإمام ابن القيم : أن الموت معاد وبعث أول وذلك لأن الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزي فيهما الذين أساءوا بها عملوا ، ويجزي بها الذين أحسنوا بالحسنى .

فالبعث الأول: مفارقة الروح للبدن ، ومصيرها إلى دار الجزاء الأول ، **والبعث الثاني:** يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار " (٢).

ويؤيد هذا المعنى قول الإمام القرطبي في تفسيره قوله تعالى : **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾**(٣). أي يقبضها عند فناء آجالها" (٤). وهذا القبض يستلزم عنه دخول الجسد في حالة تحلل واستحالته إلى الأصول التي تكون منها .

حكم منكر الموت بالمعنى الذي قرره القرآن الكريم والسنة النبوية

---

(1) انظر إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ للإمام الغزالي ط. مكتبة زهران.

(2) الروح للإمام الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية ص ١٢٢ ، ت محمد فريد ط. المكتبة التوفيقية – القاهرة .

(3) سورة الزمر آية ٤٨ .

(4) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج ١٨ ص ٢٨٥ ط. مؤسسة الرسالة ط١ ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

المطهرة :

لا شــك أن وقــوع الموت أمر بديهي لا يحتاج إلى دليل فكل يوم بل وكل ســاعة أنــاس يموتون ويشيعون ويدفنون، فالموت واقع بالمشاهدة للمؤمن وغير المؤمن، ولكن الإيمان بالموت في الإسلام يستلزم أمور منها:

١ – تحــتمه على كل من كان في الدنيا من أهل السموات والأرض من الإنس والجن والملائكة وغيرهم .

قــال تعالى : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[١]. ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ** ﴾[٢] .

وعــن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ كان يقول: "أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون " [٣] .

٢ – أن المــوت ليس نهاية الوجود ولكنه انتقال من دار الفناء إلى دار البقاء. حيث يجازى كل إنسان بما عمل ﴿ **فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَــانٌ وَجَـنَّةُ نَعِـيمٍ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ * فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْــحَابِ اليَمِــينِ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ** *

---

(1) سورة القصص آية ١١٨ .

(2) سورة آل عمران آية ٨٥ .

(3) صــحيح مــسلم كتاب الذكر والدعاء – باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ح ٢٧١٨ .

وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾[1] .

٣ – أن كــلا لــه أجــل محدود وأمد ممدود ينتهي إليه لا يتجاوزه ولا يقــصر عــنه . قــال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُّــؤَجَّلاً ﴾[2] . ﴿ وَلِكُــلِّ أُمَّـــةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3] .

٤ – أن الأجــل المحــتوم والحــد المرسوم لانتهاء كل عمر من مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله كما قال تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [4] . وكذلك مكان الموت لا يعلمه إلا الله تعالى . ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾[5] .

وعلــى ذلك يجب الإيمان بالموت بهذا المعنى الذي قرره القرآن الكريم ومنكــره يكــون منكراً لشيء معلوم من الدين بالضرورة ، أما كونه عدمياً أو وجــودياً أو غير ذلك من الأمور الظنية التي لم تثبت بأدلة قاطعة من القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة فلا ضير على من يعتقدها أو لم يعتقدها .

---

(1) سورة الواقعة الآيات من ٨٨ : ٩٥ .

(2) سورة آل عمران آية ١٤٥ .

(3) سورة الأعراف آية ٣٤ .

(4) سورة الأنعام آية ٥٩ .

(5) سورة لقمان آية ٣٤ .

الفرق بين الموت والنوم :

جاء في تعريف النوم أنه : " إزالة الحس وخلق الغفلة والآفة في محل الإدراك " [١].

" وإطـــلاق التوفي على النوم مجازي مبني على تشبيه النوم بالموت لما بينهما من المشاركة في زوال إحساس الحواس والتمييز" [٢].

وقـــيل إن الـــنفس الإنسانية عبارة عن جوهر مشرق روحاني إذا تعلق بالـــبدن حـــصل ضـــوؤه في جميع الأعضاء وهو الحياة ، ففي وقت الموت، ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه، ولا ينقطع ضوؤه عن باطن البدن فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد إلا أن الموت انقطاع تام كامل ، والـــنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه ،وإذا ثبت هذا ظهر أن القادر العالم الحكيم دبر تعلق النفس بالبدن على ثلاثة أوجه :

١ – أن يقـــع ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه وذلك اليقظة .

٢ – أن يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت فثبت أن النوم والمـــوت يشتركان في كون كل واحد منهما توفياً للنفس ثم يمتاز أحدهما عن

---

(1) المرجع السابق ص ٢٨٥ .

(2) التفـــسير الكبيـــر للرازي المجلد السابع ج ١٣ ص ١٧ ط. دار الفكر – بيروت – لبنان ١٤١٥هـــ – ١٩٩٥م .

الآخر بخواص معينة في صفات معينة .

ومـــثل هـــذا التدبيـــر العجيب لا يمكن صدوره إلا عن القادر العليـــم الحكيـــم " [١].

الفرق بين الموت والفناء الصوفي :

كلمـــة الفناء تستعمل عند الصوفية في مقابلة البقاء كاصطلاحيين يُرْمَزُ بهمـــا إلـــى حالة من حالات المريد ومن معانيه (إنه غيبة عن الكون والذات بالمكون والخالق والفناء عن العالم بشهود الحق) [٢] .

ومـــن خـــصائص الفناء عندهم (ذهاب وعيه بمن حوله فلا يعي الصوفي شـــيئاً من العالم الحسي كما لا يعي نفسه أيضاً ، وإذا قيل فنى الصوفي عن نفسه وعـــن الخلق حوله فنفسه موجودة والخلق موجودون، ولكنه لا علم له بهم ولا به فيكون غافلاً عن نفسه وعن العالم حوله)[٣].

ونأخـــذ من ذلك أن الفناء عند الصوفية هو أن يصل الصوفي من وراء رياضاته ومجاهداته إلى حالة نفسية معينة يفقد معها شعوره بذاته وغيبته عن إنيته فضلاً عن غيبته عن جميع الأغيار بحيث لا يشهد من نفسه ولا من غيره

---

(1) التفسير الكبير – المجلد ١٣ ج ٢٥ ص ٢٨٥ .

(2) دلالات المـــصطلح فـــي التـــصوف الفلسفي د. إبراهيم محمد يس ص ٦٥ ط. دار المعارف ١٩٩٩م .

(3) مـــن قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة د. محمد السيد الجليند ص ٨٢ . ط. مكتبة الزهراء – القاهرة .

عيناً ولا أثراً ولا رسماً ويبقى من ثم بوجدانه وشعوره مع حقيقة أسمى مطلقة هي " الله تعالى " عند المسلمين أو "اللوغوث" أو "الكلمة" عند النصارى، أو براهما عند البراهميين وهكذا [١].

والخلاف واضح بين الموت والفناء الصوفي، فهذا الإنسان الذي يصل إلى ذلـك ينطـبق عليه ما ينطبق على غيره في الصورة الظاهرية وكل ما يمكن أن نصفه به أنه في حالة نفسية مغايرة لما عليه عامة الناس.

ما الذي يبقى من الجسم بعد الموت ؟

إذا مـات الإنسان وتحول جسمه على تراب بمرور الوقت لا يبقى من جسمه إلا عَجْبِ الذنب. فما هو؟ وما مذاهب العلماء في بقائه؟

جـاء في تعريف عَجْبَ الذنب أنه: " عظم كالخردلة في آخر سلسلة الظهر في العصعص مختص بالإنسان كمَغرِز الذنب في الدابة "[٢].

وتوضيح الخلاف في فناء عجب الذنب على قولين :

الأول وهـو المشهور: أنه لا يفنى واستدل القائلون بذلك بحديث: "ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب"[٣].

---

(1) التـصوف الإسلامي بين أنصاره وخصومه د. عبد الرحمن المراكبي ص ٣٣ ط. دار محيسن ط. الثانية ١٤٢٤هـ.

(2) تحفـة المـريد علـى جوهرة التوحيد ص ١٠١ ، انظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ١٨٤ .

(3) صـحيح البخاري ج ٤ ص ١٨٨١، كتاب التفسير، باب يوم ينخ في الصور فتأتون أفواجاً ، ح ٤٦٥١ .

الرأي الثاني: قال بفناء عجب الذنب .

قال بذلك الإمام إسماعيل بن يحيى المزني وابن قتيبية .

واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾[١]. ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَه** ﴾ [٢].

ووجه استدلالهم بهذه الآية أن فناء سائر الموجودات الممكنة يستلزم فناء الجزء الذي هو عجب الذنب من الإنسان الداخل في عموم من حُكِم عليهم بالفناء .

ورد أصحاب الرأي الأول على استدلال القائلين بفناء عجب الذنب أن العموم في الآيات مقصور على غير الأمور التي وردت الأحاديث باستثنائها كالروح، وعُجْب الذنب، وأجساد الأنبياء، وعلى هذا فتكون الآيتان من قبيل العام المخصوص – ورجح الشيخ عبد السلام اللقاني الرأي الأول بقوله : " والأقوى في النظر أنه لا يبلى لظاهر الحديث " [٣].

---

(1) سورة الرحمن آية ٢٦ ، ٢٧ .

(2) سورة السجدة آية ١١ .

(3) شرح جوهر التوحيد ص ٢١٦ .

هل المقتول ميت بانقضاء أجله ؟

اتفق المعتزلة وأهل السنة في انقضاء الأجل بالموت ولكنهم اختلفوا فيمن قُتِل هل القتل يكون بانتهاء الأجل أم أن المقتول مات قبل انتهاء أجله ولو لم يقتل لعاش إلى أجل الموت؟

ففي هذه المسألة تنحصر الآراء فيما يأتي :

١ – مذهب أهل السنة:

إن الأجل واحد لا يقبل الزيادة ولا النقص فما قدره الله للشخص من أجل فلا بد منه " [١] .

وبناء على ذلك فكل مقتول ميت بانقضاء عمره وحضور أجله ، وفي الوقت الذي علم الله حصوله موته فيه بخلقه تعالى من غير مدخلية للقاتل فيه ، ... ولو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت، وألا يموت فيه ؛ لأنه لا اطلاع لنا على ما في علم الله تعالى .

فيحتمل لو لم يقتل أن يموت في ذلك الوقت إن لم يكن عمره في علم الله أكثر من ذلك، وهذا التجويز ذاتي على فرض عدم قتله وإلا فقد بان بقتله أن الله علم موته في ذلك الوقت فلا يختلف فيه " [٢].

وفي تأييد هذا الرأي يقول أبو المعين النسفي: " القتل فعل قائم بالقاتل

(1) الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي ص ١٨٧ .
(2) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠٠.

وهـــو فعل يخلق الله تعالى عقيبه الموت وانزهاق الروح، والموت مخلوق الله تعالـــى الميت لا صنع القاتل في المحل ثم المقتول ميت بأجله عندنا؛ لأن الله تعالى لما كان عالماً أنه يُقتل جعله أجله" (١).

أدلة أهل السنة :

اســـتدل أهـــل الـــسنة على مذهبهم بقوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَـسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (٣) .

وأيـــضاً قوله ﷺ في الحديث القدسي: " **إن روح القدس نفث في روعي أن نفـــساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وتستوفي أجلها فاتقوا الله واجملوا فـــي الطلب ولا يحملنكم استيطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لا ينال بمعاصيه** " (٤) .

وقـــد اســـتدل أهل السنة على مذهبهم أيضاً بدليل عقلي هو : " أن الله تعالـــى قد حكم بآجال العباد على ما علم من غير تردد وإن كل ما كان كذلك

---

(1) التمهيد في أصول الدين أو التمهيد لقواعد التوحيد للإمام أبي المعين النسفي الحنفي الماتريدي ص ١٠٩ ط. المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة .

(2) سورة النحل آية ٦١ .

(3) سورة نوح آية ٤ ..

(4) مجمع الزوائد٤/ ٧١ .

فهو ميت بأجله " [١] .

الاعتراض على مذهب أهل السنة :

واعتــرض المخالفــون لأهل السنة على هذا الرأي بالآيات والأحاديث التــي تدل على نقصان آجال العباد وزيادتها مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ** ﴾[٢] ، وكذلك قوله ﷺ: "**من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه**"[٣].

والرد على هذا الاعتراض من ثلاثة وجوه :

١ – أن الأحاديــث الــواردة فـــي هذا الشأن أحاديث آحاد فلا تعارض القواطع .

٢ – أن تفــسير الزيادة في العمر بزيادة الخير والبركة ولهذا نظير في اللغـــة فـيقال : ذكــر الفتى عمره الباقي فذكر الفتى زيادة في العمر بحسب البركة وليست زيادة حقيقية .

٣ – إذا فرضـــنا أن الــزيادة حقيقـــية فإنها تُفَسَّر بالنسبة إلى ما أثبتت الملائكـــة في صحفها فقد تثبته الملائكة مطلقاً وهو في علم الله تعالى مقيد ثم يؤول الأمر إلى ما في علم الله تعالى وإلى ذلك الإشارة يقول تعالى : ﴿ **يَمْحُو**

---

(1) شرح جوهر التوحيد المسمى بإتحاف المريد بجوهرة التوحيد ص ٢١٤ .

(2) سورة فاطر آية ١١ .

(3) صحيح البخاري – كتاب البيوع ، باب من أحب البسط في الرزق .

اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ ﴾ [١].

أي يثبت فيما كتبته الملائكة أما ما في أم الكتاب فلا محو فيه ولا إثبات[٢] .

الاعتراض الثاني : إذا لم يكن للقاتل دخل في انقضاء أجل المقتول فلم وجب القصاص منه عملا بقوله تعالى : ﴿ **وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ** ﴾ [٣] . فوجوب القصاص من القاتل دليل على تأثيره ومدخليته في أجل المقتول بالتقديم عن الأجل الذي قدر له بالموت عن حلوله . ويُرَدُّ على هذا الاعتراض بأن القصاص واجب على الكسب وهو مقارنة قدرة العبد لقدرة الله عند الفعل لا على قطع الأجل [٤] .

٢ – مذهب أكثر المعتزلة :

إن المقتول ميت بغير أجله ،وذلك لأن القتل غير الموت والمقتول له أجل واحد وهو الوقت الذي حدد الله موته فيه لو لم يقتل ، فالقاتل قطع على المقتول أجله ، والقتيل لو لم يقتل لعاش إلى أجله قطعاً " فلا بد لكل حي من أجل محكوم له بأنه يعيش إليه ، فيكون أجلاً في الحقيقة وإن قتل قبله لأن الأجل هو الوقت المنتظر ، ولذلك لا يقال في الدين الحال أنه مؤجل ويقال

(1) سورة الرعد آية ٣٩ .
(2) انظر شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٣ ، ٢١٤ .
(3) سورة البقرة آية ١٧٩ .
(4) انظر شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٣ ، ٢١٤.

ذلك في المتأخر "[١] .

واستدلوا على رأيهم بأدلة منها :

أن المقـتول لـو كـان ميتاً بأجله لما استحق القاتل القصاص لكن عدم استحقاقه ذلـك باطـل بـنص القـرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [٢]. وكذلك هناك أحاديث نبوية تبين أن بعض الطاعات تزيد في عمر الإنسان وأن ما يقبل الزيادة يقبل النقص.

٣ – مذهب الكعبي من المعتزلة :

إن المقـتول لـيس بميت ؛ وذلك لأن القتل فعل العبد والموت فعل الله تعالى ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [٣] .

ووجه الاستدلال بالآية أن العطف يقتضي المغايرة في قولـه تعالـى: ﴿ مُـتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾ فالإنسان عند الكعبي له أجلان، أجل بالقتل ،وأجل بالموت . فلو لم يقتل لعاش إلى أجل الموت .

رد أهل السنة :

---

(1) المغنـي فـي أبـواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ج١١ ص ٣ ط. عيسى الحلبي – القاهرة ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .

(2) سورة البقرة آية ١٧٩ .

(3) سورة آل عمران آية ١٥٨ .

وقـد رد أهـل الـسنة على رأي الكعبي بأن العطف في الآية لا يقتضي المغايرة ولكن المعنى ولئن متم أي بغير سبب أو قتلتم أي بسبب [١] .

٣ – مذهب أبو الهزيل العلاف من المعتزلة:

إن المقـتول لـو لم يقتل " كان سيموت قطعاً وإلا سيكون القاتل قاطعاً لأجلـه وذلـك غير ممكن " [٢] . وهو بذلك يتفق مع أهل السنة في القول بأن المقـتول مـيت بأجله ولكنه يختلف معهم في القول بأنه لو لم يقتل لمات قطعاً ،وأهـل السنة يقولون أنه لو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت وألا يموت وإن تحديد ذلك في علم الله تعالى .

وقـال القاضـي عبد الجبار إن ما ذهب إليه أبو الهزيل " لا يصح لأن ذلك الأجل الذي لو لم يقتل فيه يبقى إليه أجل مقدَّر غير محقق فكيف يلزم أن يكون قاطعاً لأجله والحال ما ذكرنا؟ ولو جاز أن يقال أنه أفنى ولده بأن يكون المعلوم من حاله أنه لو لم يقتل لرزق ولداً ، وأنه يكون قد اغتصب ما له بأن يكون المعلوم من حاله أنه كان يُرْزق مالاً لو لم يمت ومعلوم خلافه، ويقول أيـضاً : أن بـناءً على ما قاله أبو الهزيل كان يجب على الواحد منا إذا دخل

(1) انظـر الاقتـصاد فـي الاعـتقاد ص ١٧٩ للإمام الغزالي، ط. مطبعة السعادة – القاهرة.

(2) شـرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد ص ٧٨٣ تعليق الإمام أحمد بـن الحـسين بـن أبي هاشم ، ت. عبد الكريم عثمان ، ط. مكتبة وهبة – القاهرة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

حظيــرة غيره وأتى على أغنامه أن يكون منعماً عليه بذبحها ؛ لأنه قد جعلها مزكاه بعد أن كانت يفرض الموت والمعلوم خلافه " [١] .

٣ – مذهب الفلاسفة :

ذهب الفلاسفة إلى أن للحيوان أجلاً طبيعياً وآجالا اخترامية.

فأمـــا الأجل الطبيعي فيحين بتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين

...

وأمـــا الآجـــال الاخترامية فتتعدد بتعدد أسباب لا تحصى من الأمراض والآفات ....

ورد مذهب الفلاسفة بأن مذهبهم مبني على قواعدهم التي تقضي بتأثير الطبيــيعة والمزاج وهو باطل عند أهل السنة ؛ لأنهم يرون أنه لا تأثير إلا لله ســبحانه وتعالــى ،وأن الأسباب الطبيعية عند الفلاسفة هي أسباب عادية عند أهل السنة لا عقلية كما زعم الفلاسفة " [٢] .

وقـــد حاول بعض أهل السنة أن يضيقوا الهوة بينهم وبين المعتزلة في هذه المسألة بقولهم إن الخلاف بينهما لفظي .

فـــذهب الإســـفراييني إلـــى أن الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة لفظي وبـــيان ذلـــك " أن الأجـــل إن كان زمن بطلان الحياة في علم الله تعالى كان

---

(1) شرح الأصول الخمسة ص ٧٨٣ .

(2) شرح جديد على جوهرة ص ١٦٢ .

المقـتول ميـتاً بأجله قطعاً وإن قيد بطلان الحياة بأنه لا يترتب على فعل من العـبد لمـا كان المقتول ميتاً بأجله قطعاً من غير تصور خلاف فرجع البحث حينـئذ إلـى وجود دليل التقييد وعدمه ولم يأت أحد من الفريقين بقاطع على مدعاه " (١).

من يتولى قبض الأرواح ؟

اختلف العلماء فيمن يتولى قبض الأرواح على مذاهب ثلاثة:

١ - مـذهب أهـل الحق " أن الذي يقبض الروح أي يخرجها ويأخذها بإذن الله عز وجل من مقرها أو من يد أعوانه ولو أرواح الشهداء براً وبحراً، والمراد جميع أرواح الثقلين والملائكة والبهائم والطيور وغيرهم ولو بعوضة رسـول المـوت أو ملك الموت (٢). كما جاء في وصفه أنه ملك عظيم هائل المنظـر مفزع جداً رأسه في السماء العليا ورجلاه في منتهى الأرض ووجهه مقابـل للـوح المحفوظ ، والخلق بين عينيه وله أعوان بعد من يموت يترفق

---

(1) المرجع السابق ص ١٦٣ .

(2) قـيل إن اسـم هـذا الملـك " عزرائيل " ومعناه عبد الله أو عبد الجبار " وتسميته بعـزرائيل أمـر اشتهر عند كثيرين من أهل التفسير ولم ينقل في ذلك نص صحيح [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٨ ص ١١٧] .
فأسـماء الملائكـة التـي وردت إليـنا لا تتعدى " جبريل، أو ميكائيل" و"إسرافيل" و"مالك" ، وقد جاء النص القرآني خالياً من ذكر الاسم في قوله تعالى: " قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ المَوْتِ " [سورة السجدة آية ١١] .

بالمؤمن ويأتيه بصورة حسنة [١] .

كمـا ذهبوا في أحد قولين لهم أنه هو الذي يتولى قبض روحه ، والقول الثاني أن الله تعالى هو الذي يتولى قبض روحه[٢] .

وأمـا إسـناد التوفـي إليه تعالى في قوله : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَـوْتِهَا ﴾ [٣] . فلأنه الخالق الحقيقي الموجد له، ولما باشره ملك الموت أسند إلـيه كمـا في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [٤]. وأسند إلى أعوانه كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ [٥] . لمعالجتهم نزع الروح [٦] .

٢ – مذهب المعتزلة :

يرى المعتزلة أن ملك الموت يقبض أرواح الثقلين دون غيرهما .

٣ – مذهب المبتدعة :

وقالـت المبـتدعة إن أعـوان ملـك الموت هما الذين يقبضون أرواح البهائم[٧] .

---

(1) شرح البيجوري على الجوهرة ص ٢١٢.
(2) انظر تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠٠ .
(3) سورة الزمر آية ٤٢ .
(4) سورة السجدة آية ١١ .
(5) سورة النحل آية ٣٢ .
(6) حاشـية محمد بن محمد الأمير على شرح عبد السلام بن إبراهيم المالكي لجوهرة التوحيد للإمام اللقاني ص ١٣٧ ط. عيسى الحلبي .
(7) المرجع السابق نفس الصفحة .

المبحث الثاني

حياة البرزخ

تعريف البرزخ :

البرزخ في اللغة : يطلق علي الحاجز بين الشيئين كما في قوله تعالي: ﴿مَــرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ*بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾[١] وقيل ما بين الموت إلي القيامة .

والبرزخ في الاصطلاح: "يطلق علي الفترة من وقت الموت إلي البعث، فمــن مات فقد دخل في البرزخ"[٢] فالبرزخ "مدة قدرها الله تعالي ما بين الدنيا والآخــرة"[٣] ومن هنا قيل للميت هو في برزخ لأنه بين الدنيا والآخرة. وهذه المــدة غالــباً مــا يقضيها الميت أو يقضي جزء منها في القبر ولذلك أضيف العــذاب أو النعيم الذي يلقاه الإنسان في هذه الفترة إلي القبر فقيل عذاب القبر ونعيم القبر وسؤال القبر...وهكذا فالقبر هو المكان الذي يوضع فيه الميت"[٤]

قــال ابــن حجر: "وإنما أضيف العذاب إلي القبر لكون معظمة يقع فيه،

---

(١) ســورة الــرحمن :آية/١٩،٢٠ ، انظر لسان العرب لابن منظور جـ١ صـ٢٥٦ط. دار المعارف.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة صـ٢٠٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي جـ٢٠ صـ١٢٩ ، ت عبد الله بن عبد المحسن التركي ط مؤسسة الرسالة ط١ ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني جـ١ صـ٣٩١.

ولكــون الغالــب علي الموتى أن يقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من ألعــصاه يعــذب بعــد موته ولو لم يُدْفَن"[١] وعلي ذلك "فالمصلوب والحريق والغريق وأكيل السباع له من عذاب القبر ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، يــدل علي ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"قال رجل لم يعمل خيــراً قــط لأهلــه إذا مات أن يحرقوه ثم يذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر، فوالله لإن قدر الله عليه ليعذبنَّه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين قال: فلما مات فعلوا ما أمرهم به، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع مــا فيه ثم قال: لم فعلت هذا؟ فقال: من خشيتك يارب وأنت أعلم قال: فغفر له ذنبه"**[٢]

قــال ابن القيم: "فلم يفت عذاب القبر ونعيمه هذه الأجزاء التي صارت فــي هــذه الحــال...فعناصــر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها، يصرفها كيف يشاء، ولا يستحصي عليه منها شيء إرادة." [٣]

والقبــر هــو آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة ، وكان عثمان بن عفــان رضي الله عنه إذا وقف علي قبر بكي حتى تبتل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تُذْكر الجــنة والنار فلا تبكي، وتبكي إذا وقفت علي قبر: فقال سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) فــتح الــباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني جـ٣ صـ١٨٠ ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

(٢) موطأ مالك، كتاب الجنائز؛ باب جامعه الجنائز ح/٩٩٣.

(٣) الروح صـ١٢٣،١٢٢ بتصرف.

يقـــول "أن القبـــر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لـــم ينج فما بعده أشد منه" قال وقال رسول الله ﷺ "ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه"(١)

ضغطة القبر :

ضـــغطة القبـــر هـــي : "التقاء حافتيه التقاءاً برزخياً. يتناسب مع عالم البـــرزخ ومـــا يحكمه من قوانين. علي جسد الميت"(٢) وهذه الضغطة لا ينجو مـــنها أحد كبيراً كان أو صغيراً إلا من استثناه النبي ﷺ فقد ثبت في كتب السنة أن القبر ضَمَّ سعد بن معاذ وهو الذي تحرك لموته عرش الرحمن، وفتحت له أبـــواب الـــسماء، وشـــهده سبعون ألفاً من الملائكة ففي حديث ابن عمر ﷺ أن رســـول الله ﷺ قـــال: "**هـــذا الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فُرِّجَ عنه**"(٣).

المستثنون من ضغطة القبر:

إذا كانت ضغطة القبر عامة لكل واحد فقد ورد أن من الناجين منها:

١- مـــن قرأ سورة الإخلاص في مرض موته وذلك لما رواه أبو نعيم عن عبد الله بن الشخير "من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم

(١) سنن الترمذي كتاب الزهد ح/٢٣٥٨.

(٢) شرح جوهرة التوحيد صـ٤٦٦، أنظر إحياء علوم الدين جـ٤ صـ٤٨٧.

(٣) سنن النسائي، كتاب الجنائز باب ضمة القبر وضغطته ح ٤/١٠٠.

يفتن في قبره، وامن من ضغطة القبر...الحديث"[١]

٢- فاطمة بنت أسد أم الإمام علي بن أبي طالب‌ﷺ "وذلك لما ورد من أنهـا لمـا ماتـت سكب عليها النبيﷺ الماء الذي فيه الكافور وألبسها قميصه واضطجع في قربها ودعا لها بأن يوسع الله عليها مدخلها. [٢]

سؤال الملكين:

مـسألة "سـؤال الملكـين للموتـى من المسائل المتفق عليها بين سلف الأمة"[٣] ومما يدل علي ثبوت هذا السؤال قوله تعالي: **﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَـوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَـا يَـشَاءُ﴾**[٤] فقد ذكر كثير من المفسرين في معني هذه الآية أنها تدل علي سؤال الملكين في القبر. [٥]

وقـد وردا أيـضاً في سبب نزول هذه الآية ما روي عن النبيﷺ أنه لما وصـف مسألة منكر ونكير وما يكون من جواب الميت قال عمر: يا رسول الله

---

(١) حلـية الأولـياء ج ٢ ص ٢١٣ ط. دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان ط ٤، ١٤٠٥ هـ.

(٢) التذكرة صـ١١٢.

(٣) أبكـار الأفكـار في أصول الدين، للإمام سيف الدين الآمدي جـ٤ صـ٣٣٢ ت د/ أحمد المهدي ط دار الكتب والوثائق القومية القاهرة١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٤) سورة إبراهيم :آية٢٧.

(٥) انظـر الجامع لأحكام القرآن جـ١٢ صـ١٤٠،١٣٩، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمران الزمخشري جـ٢ صـ٢٧٧ ط دار المعرفة بيروت، لبنان.

أيكون معي عقلي؟ قال: نعم قال: كُفِيْتُ إذاً فأنزل الله عز وجل هذه الآية.[١]

وقد وردت أحاديث كثيرة تفيد ثبوت سؤال الملكين للميت منها: ما ورد عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال "**إذا أُقْعِدَ المؤمن في قبره أُتِيَ ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت**"[٢] .

ومنها ما رواه أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**إن العبد إذا وضع في قبره وتولي عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع فعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له أنظر إلي مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً...الحديث**"[٣]

سبب تسمية الملكين "بمنكر ونكير" :

سمي الملكين منكر ونكير لأنهما يأتيان الميت بصورة منكرة ففي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "**إذا قبر الميت"أو قال" أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير...الحديث**"[٤] وقيل هما للمؤمن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١٢ صـ١٤٠.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني ج٣ صـ١٨٠، ١٨١ ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط٣ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٣) فتح الباري ج٣/صـ١٨٥،١٨٤ ط. دار إحياء التراث العربلي – بيروت – لبنان.

(٤) رواه الترمذي.

الموفق مبشر وبشير، أما الكافر والمؤمن العاصي فلهما منكر ونكير." [١] كما ورد في وصفهما أيضاً "**أن أعينهما كقدور النحاس أو كالبرق، واصواتهما كالرعد، إذا تكلما يخرج من أفواههما كالنار، بيد كل واحد منهما مطراق من حديد لو ضرب به الجبال لذابت، كما ورد أن بيد أحدهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل مني ما أقالوها ولكنهما يترفقان بالمؤمن ويقولان له إذا وفق للجواب: نم نومه العروس، وينتهران المنافق والكافر**"[٢] وأنكر بعض المتكلمين تسمية الملكين منكراً ونكيراً وقالوا : (إنما المنكر ما يصدر من الكافر عند تلجلجه إذا سئل، والنكير: إنما هو تقريع الملكين له[٣] والأول أصوب لورود الأحاديث به "وهذه التسمية ليس لأنهما منكران من حيث ذواتهما، ولكنهما منكران من حيث أن الميت لا يعرفهما، وليس له بهما علم سابق وقد قال إبراهيم عليه السلام. لأضيافة الملائكة﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[٤] لأنه لم يكن يعرفهم فهذان منكر ونكير لأنهما غير معروفين للميت[٥]

يقول القاضي عبد الجبار: "إن هذا بمنزلة غيره من الألقاب التي لاحظ لها في إفادة المدح والذم والثواب والعقاب، وهو جارٍ علي طريقة العرب

---

(١) شرح جوهرة التوحيد صـ٣٦٣.

(٢) تحفة المريد علي جوهرة التوحيد صـ١٠٤.

(٣) المواقف للإمام عضد الدين الإيجي بشرح الشريف الجرجاني جـ٨ صـ٣١٧ ط دار الجيل بيروت ط١ ١٤١٧هـ/١٩٧٧م.

(٤) سورة الذاريات :آية٢٥.

(٥) شرح العقيدة الداسطية صـ٤٧٩ للشيخ/ محمد بن صالح العثيمين، أعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ط دار الثريا للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

وتسميتهم أبناءهم واعزاتهم بالصخر والذئب وغير ذلك من غير أن يفيدوا به مدحاً ولاذماً بل ليقوم مقام الإشارة علي ما هو موضوع التلقيب وعلى أنا لو جعلنا هذا الاسم من الأسماء المفيدة، فإنه ليس يفيد قولنا منكرا أكثر من أن الغير لا يعرفه، وبأن من لا يعرف شخص من الأشخاص ملكاً من الملائكة لم يدخل الملك في استحقاق الذم، وهكذا في قولنا نكيراً فإنه فعيل بمعني مفعل وهو معني شائع".[١] "وهذا السؤال هو فتنة القبر، وقيل هي التلجلج في الجواب"[٢] وقيل أن فتنة القبر ما ورد من حضور إبليس في زاوية من زوايا القبر مشيراً إلي نفسه وذلك عند قول الملك للميت من ربك؟ [٣]

لمن يكون السؤال :

هل سؤال الملكين في القبر للميت عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار أو مختص بالمسلم والمنافق؟

اختلف العلماء في ذلك فمنهم من قال أن "الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق كان منسوباً إلي أهل القبلة ودين الإسلام بظاهر الشهادة، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام فيثبت الله الذين آمنوا ويرتاب المبطلون"[٤] وذلك لأن الأمم

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار صد٧٣٤.

(٢) تحفة المريد صد١٠٥.

(٣) شرح جوهرة التوحيد صد٣٦٥.

(٤) الروح صد١٤٠.

قبل أمة محمدﷺ كانت تأتيهم رسلهم بالرسالة فإذا أبو عوجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمداًﷺ رحمة للعالمين، أمسك عنهم العذاب وأعطي السيف حتى دخل في دين الإسلام من دخل نهاية السيف وهم المنافقون فلما ماتوا قيض الله لهم فتنة القبر ليميز المؤمن من المنافق وليميز الله الخبيث من الطيب"[١] وعلي هذا الرأي ذهب الترمذي وأبو عمر بن عبد البر، وقال ابن القيم أن السؤال في القبر يكون للمسلم والكافر لثبوته بالكتاب والسنة ومن ذلك قوله تعالي﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾[٢] فقد ثبت أنها نزلت في عذاب القبر حين يسأل من ربك وما دينك ومن نبيك وفي حديث أنس ابن مالك عن النبيﷺ قال: "**أن العبد إذا وضع في قبره وتولي عنه أصحابه أنه ليسمع قرع فعالهم...وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد يصيح صحيه يسمعها من يليه إلا الثقلين.**[٣]

المستثنون من السؤال :

والأنبياء لا يسألون؛ لأن الأنبياء أفضل من الشهداء وقد ثبت عن النبي

---

(١) فتح الباري جـ٣ صـ١٨٧.

(٢) سورة إبراهيم :آية٢٧.

(٣) سبق تخريجه. انظر الروح صـ١٤٠.

ﷺ أن الشهيد يوقي فتنة القبر"[١]؛ وذلك لما روى عن النبي ﷺ أنه قال: يعطى الـــشهيد ســـت خـــصال عند أول قطرة من دمه يُكَفَّر عنه كل خطيئة ، ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويؤمن من الفزع الأكبر، ومن عذاب القبر، ويُحلى حلة الإيمان [٢].

وورد أيـــضاً أن النبـــي ﷺ سئل ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الـــشهيد فقـــال : " كفى ببارق السيوف على رأسه فتنة" [٣] ولأن الأنبياء يسأل عـــنهم، فيقال للميت من نبيك فهم مسئول عنهم وليسوا مسئولين وقيل يسألون عـــن الوحـــي الذي انزل عليهم وعن جبريل" [٤] وكذلك الصديقون لا يسألون وذلـــك لأن مرتبة الصِّدِّيق أعلي من مرتبة الشهيد فإذا كان الشهداء لا يسألون فالصديقون لا يسألون من باب أولي ولأن الصِّدِّيق قد عُلِم صدقه فلا حاجة إلي اختباره. والشهداء لا يسألون لظهور صدق إيمانهم بجهادهم وكذلك المرابطون لقولهﷺ : **"رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جري عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان"**[٥]

وقيل أن من لا عقل لهم كالمجانين والصبيان لا يُسألون أيضاً. [٦] وقيل

---

(١) شرح العقيدة الواسطية صـ٤٧٧.

(٢) حديث حسن، مسند أحمد ج ٤ ص ٢٠٠ ، ح ٧٨١٨ .

(٣) الشهيد ج ٤ ص ٩٩ ح ٢٠٠٥٣ .

(٤) تحفة المريد صـ١٠٥.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة.

(٦) أنظر شرح العقيدة الواسطية صـ٤٧٦.

أن الملازمين لقراءة سورة الملك مستثنون من السؤال أيضا وكذلك سورة السجدة في غالب الأوقات، ومن قرأ في مرض موته سورة الإخلاص، ومريض البطن والميت بالطاعون أو بغيره في زمنه صابراً محتسباً، والميت ليلة الجمعة أو يومها ورجع البيجوري أن غير الأنبياء وشهداء المعركة يسألون سؤالاً خفيفاً[١] ويكون السؤال بعد تمام الدفن وعند انصراف الناس فإذا تأخر دفنه يوم أو أكثر لم يكن السؤال حتى يدفن ولذلك كان من هدي النبيﷺ انه إذا دفن الميت وقف عليه وقال: "**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**" [٢]

يقول القاضي عبد الجبار: وأما الكلام في أنه تعالي يبعث إليه ملكين يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيسألانه ثم يعذبانه أو يبشرانه حسب ما وردت به الأخبار فإن ذلك مما لا يهتدي إليه من جهة العقل وإنما الطريق إليه السمع. [٣]

(١) تحفة المريد صـ١٠٥.
(٢) سنن أبي داود ٣٢٢١.
(٣) شرح الأصول الخمسة صـ٧٣٢.

المبحث الثالث

عذاب القبر ونعيمه

اتفــق وأهــل السنة وجمهور المعتزلة علي القول بثبوت النعيم والعذاب في القبر وذلك للدلالة الكتاب والسنة عليه ومن ذلك:

١- قــوله تعالــي: ﴿قَالُــوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[١] .

يقول الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية :

" احــتج أكثــر العلماء بهذه الآية في إثبات عذاب القبر، وتقرير الدليل أنهم أثبتوا لأنفسهم موتتين حيث قالوا: "ربنا أمتنا اثنتين" فأحد الموتتين شاهد في الدنيا، فلابد من إثبات حياة أخري في القبر حتى يصير الموت الذي يحصل عقيبها موتاً ثانياً وذلك يدل علي حصول حياة في القبر" [٢]

ويقــول القاضي عبد الجبار في استدلاله بهذه الآية علي ثبوت العذاب والنعــيم في القبر: "ولا تكون الإماتة والإحياء مرتين إلا وفي أحدي المرتين إما التعذيب في القبر، أو التبشير"[٣]

([١]) سورة غافر :آية١١.

([٢]) التفــسير الكبيــر المسمي بمفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي ج٢٧ صـ٣٥ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

([٣]) شرح الأصول الخمسة صـ٧٣١.

٢- قوله تعالي﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[١] .

ووجه الاحتجاج بها من ثلاثة أوجه :

الأول: أنهـا صريحة في العذاب قبل يوم القيامة، وذلك لا يكون إلا قبل الانتشار من القبور.

الثاني: إن عذاب يوم القيامة يكون دائماً غير مُفتّر وما أثبته من العذاب فليس دائماً، بل بكرة وعشياً علي ما قاله تعالي: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ وإذا لم يكن هو عذاب يوم القيامة تعين أن يكون هو عذاب القبر، إذ الآية إنما وردت في حق الموتى.

الـثالث: أن الآية قد فرقت بين العذابين ووصفت عذاب يوم القيامة بأنه أشـد العذاب...والعرض علي النار ليس هو أشد العذاب، فلا يكون هو عذاب يوم القيامة، فتعين أن يكون هو عذاب القبر"[٢] .

قـال ابـن كثيـر: "وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة علي

---

(١) سورة غافر :آية٤٦.

(٢) أبكـار الأفكـار في أصول الدين للإمام سيف الدين الآمدي ج٤، صد٣٣٥، ت د/أحمد المهـدي،ط دار الكتب والوثائق القومية القاهرة١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.أنظر شرح الأصول الخمـسة صد٧٣٠، المواقف للإمام عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، بشرح الـشريف الجرجاني ج٨ صد٣١٧، ت عبد الرحمن عميرة،ط دار الجيبل بيروت ط١ ١٤١٧هـ١٩٧٧م.

عذاب البرزخ"[١] .

وقال القرطبي: "هذا عذاب القبر في البرزخ"[٢]

وقـال الإمـام الزمخشري في الآية: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ في هذا الـوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها، وعرضهم عليها إحراقهم بها...غدواً وعـشياً في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فإما أن يعذبـوا بجـنس آخر من العذاب أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدواً وعشياً عـبارة عـن الـدوام هذا ما دامت الدنيا فإذا قامت الساعة قيل لهم أدخلوا آل فرعون أشد العذاب"[٣]

٣- قـوله تعالـي: ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ* كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾[٤] .

قـال ابـن عـباس: ﴿ **ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ في الآخرة إذا حل بكم العـذاب ، فـالأول فـي القبر، والثاني في الآخرة فالتكرار للحالتين ، وروى كذلك عن علي ﷺ في قوله: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ صـ١٠.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة صـ١٥٢.

(٣) الكشاف جـ٤ صـ١٧٠.

(٤) سورة التكاثر:الآيات ١ : ٣.

فأشار إلى قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يعني في القبور[١] .

٤- قوله تعالي في حق قوم نوح﴿ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾[٢] "والفاء في اللغة للتعقيب من غير مهلة وذلك ظاهر في عذاب القبر"[٣]

٥- وكـــذلك قـــوله تعالـــي﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُـــونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤] " فأل في "اليوم" للعهد الحضوري يعني: اليوم الحاضر، والمراد به يوم حضور الملائكة لقبض أرواحهـــم، وهـــذا يقتضي أنهم يعذبون من حين أن تخرج أرواحهم وهذا هو عذاب القبر"[٥]

الأدلة من السنة:

يقـــول شـــارع الطحاويـــة: "وقد تواترت الأخبار عن رسول اللهﷺ في ثـــبوت عـــذاب القبـــر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً...فيجب اعتقاد ثبوت ذلك

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٢٢ ص ٤٥٤.

(٢) سورة نوح :آية٢٥.

(٣) أبكار الأفكار جـ٤ صـ٣٣٥، شرح الأصول الخمسةصـ٧٣٠، التمهيد في أصول الدين أو التمهيد بقواعد التوحيد لأبي المعين ألنسفي الماتريدي صـ١٣٢.

(٤) سورة الأنعام :آية٩٣.

(٥) شـــرح العقـــيدة الواسطية صـ٤٨٦ للشيخ محمد بن صالح العثيمين ط دار الثريا للنشر والتوزيع طـ١ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

والإيمان به." (١)

ومـــن هـــذه الأخـــبار ما رواه ابن عباس قال مر النبيﷺ بقبرين فقال: "**أنهمـــا لـــيعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالتميمة...الحديث**"(٢) .

قـــال ابـــن حجر : "هذا الحديث صريح في إثبات عذاب القبر"(٣) وقال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث "فيه إثبات عذاب القبر وهو مذهب أهل الحق"(٤) .

وقـــال الذين ابن المنير: "المراد بتخصيص هذين الأمرين بالذكر تعظيم أمـــرهما لا نفي الحكم عما عداهما، فعلي هذا لا يلزم من ذكرها حصر عذاب القبـــر فيهما، لكن الظاهر من الاقتصار علي ذكرهما أنهما أمكن في ذلك من غيرهما"(٥) .

وقـــد ثـــبت أيضاً أن النبيﷺ كان يتعوذ من عذاب القبر ففي حديث أبي هريـــرةﷺ أنـــه قال: كان رسول اللهﷺ يدعو: "**اللهم أني أعوذ بك من عذاب**

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية صـ٣٣٣ للعلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي الغز الحنفي ت/أحمد شاكر/ط مكتبة التراث القاهرة.

(٢) صحيح البخاري كتاب باب ما جاء في غسل البول ح/

(٣) فـــتح الباري جـ٣ صـ١٨٨، أنظر أبكار الأفكار للآمدي صـ٣٣٧، شرح الأصول الخمسة صـ٧٣٢.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي جـ٢ صـ٢٠٦.

(٥) فتح الباري جـ٣ صـ١٨٨.

القبـــر، ومـــن عـــذاب الـــنار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدَّجال"[١] .

يقـــول الإمام الإيجي "والأحاديث الصحيحة الدالة علي عذاب القبر أكثر مـــن أن تحصي بحيث تواتر القدر المشترك بينها وإن كان كل واحد منها من قبيل الآحاد"[٢]

المنكرون للحياة البرزخية

علي الرغم من وضوح الأدلة الدالة علي ثبوت عذاب القبر ونعيمه فقد ذهـــب الملاحـــدة والـــزنادقة ومن نجا نحوهم إلي القول بإنكار ذلك مستدلين ببعض الأدلة منها:.

١- إن اســـتدلال المثبتين لعذاب القبر ونعيمه بقوله تعالي: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَـــيْنِ وَأَحْيَيْتَـــنَا اثْنَتَيْنِ﴾[٣] لا تدل علي ثبوت عذاب ولا نعيم في القبر "لأن المقـــصود بالمـــوته الأولي هو الإشارة إلي الحالة الحاصلة عند كون الإنسان نطفة وعلقة، والموتة الثانية إشارة إلي ما حصل في الدنيا"[٤]

الرد علي تلك الشبهة :

وللرد علي تلك الشبهة يقول القاضي عبد الجبار: "ومتي قالوا أن إحدى

---

(١) صحيح البخاري/ كتاب باب التعوذ من عذاب القبر/ح

(٢) شرح المواقف جـ٨ صـ٣١٨.

(٣) سورة غافر :آية ١١.

(٤) التفسير الكبير جـ٢٧ صـ٣٥.

الإماتتــين إنمــا هو خلق الله تعالي الخلق من نطفة هي موات، قلنا أن الإماتة فــي الحقــيقة هــي إبطال الحياة وإزالتها، وتفريق البنية التي تحتاج هي في الوجــود إلــيها، وذلك لا يتصور في النطفة التي لم تكن حية أصلاً- هذا من ناحية ومن ناحية أخري- أن الله تعالي قد أثبت الإماتة مرتين وعلي هذا الذي ذكــروه يقتضي أن يكون ذلك مراراً[١] لأن الله تعالي قد ثبت أنه خلق الإنسان مــن طــين ولــم يصر حياً في المرحلة التالية من خلقه بل صار نطفة فعلقة فمــضغة فعظامــاً ثــم اكتست العظام لحماً مصداقاً لقوله تعالي: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ *ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ*ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَــةً فَخَلَقْــنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٢]

ويقــول الإمــام الــرازي في رده علي هذه الشبهة كذلك: "أن الإماتة تستعمل بمعنيين أحدهما:

إيجــاد الــشيء ميــتاً، والثاني: تصيير الشيء ميتاً بعد أن كان حياً كقولك: وسّــع الخــياط ثوبي، فَيُحتَمل أنه خاطه واسعاً، ويحتمل أنه صيره واسعاً بعد أن كــان ضــيقاً، فَلِمَ لا يجوز في هذه الآية أن يكون المراد بالإماتة خلقها ميتة، ولا

---

(١) شرح الأصول الخمسة صـ٧٣١،٧٣٠.

(٢) سورة المؤمنون :آية١٢/١٣/١٤.

يكون المراد تصيرها ميتة بعد أن كانت حية"(١)

الـــشبهة الثانية: "أن الذين قالوا: "﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ هـــم الكفـــار فلا يكون حجة، وأيضاً لو ثبتت الحياة في القبر لكانت الإحياءات ثـــلاث: أولها في الدنيا، وثانيها في القبر، وثالثها في القيامة، والموت الحاصل بينهم هو الموت الشاهد في الدنيا"(٢)

وقـــد رد الإمـــام الرازي علي هاتين الشبيهتين بقوله: "أن قولهم أن هذا كـــلام الكفـــار فـــلا يكون حجة فالرد عليه أنهم لما ذكروا ذلك لم يكذبهم الله تعالـــي، إذا لـــو كانـــوا كاذبين لأظهر الله تكذيبهم، لا تري أنهم لما كذبوا في قـــولهم ﴿وَاللّـــهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾(٣) كذبهم الله تعالي في ذلك فقال "أنظر كـــيف كذبوا" أما قولهم إذا كان هناك حياة في القبر للذم أن يكون عدد الحياة ثلاث مرات لا مرتين فقد أجاب الإمام الرازي عليهم من وجوه

الأول: أن مقـــصودهم تعديل أوقات البلاء والمحنة وهي أربعة: الموتة الأولـــي، والحـــياة في القبر، والموتة الثانية، والحياة في القيامة، فهذه الأربعة أوقـــات الـــبلاء والمحـــنة فأما الحياة في الدنيا فليست من أقسام أوقات البلاء والمحنة فلهذا السبب لم يذكروها.

---

(١) التفسير الكبير جـ٢٧ صـ٣٥، أنظر أبكار الأفكار جـ٤ صـ٣٣٣،٣٣٤، شرح المواقف جـ٨ صـ٣١٧.

(٢) أنظر التفسير الكبير جـ٢٧ صـ٣٤.

(٣) سورة الأنعام :آية٢٣.

الثاني: لعلهم ذكروا الحياتين وهما: الحياة في الدنيا، والحياة في القيامة، أما الحياة في القبر فأهملوا ذكرها لقلة وجودها وقصر مدتها.

الثالث: لعلهم لما صاروا أحياء في القبور لم يموتوا، بل بقوا أحياء، إما في السعادة، وإما في الشقاوة وأتصل بها حياة القيامة، فكانوا من جملة من أرادهم الله بالاستثناء في قوله:﴿**فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إلا مَن شَاء اللَّهُ**﴾[١]....وينهي الإمام الرازي رده علي في هذه المسألة بقوله "إننا نُرَجِّح قولنا بالأحاديث الصحيحة الواردة في عذاب القبر"[٢]

٢- ومن حجج المنكرين لعذاب القبر أيضاً قولهم: "إن الله تعالي يقول حكاية عن الكفار إذا حُشِرُوا ﴿ **يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا**﴾[٣] وهو دليل ظاهر علي أنهم لم يكونوا مكذبين قبل ذلك"[٤]

ويجيب الإمام الآمدي علي هذه الحجة بقوله: هذا "دليل علي حياتهم، لأن المفهوم من المرقد هو موضع الاضطجاع للرقاد، والرقاد من صفات الأحياء، فإثبات المرقد لهم يدل علي كونهم أحياء في قبورهم، وليس فيه ما يدل علي عدم العذاب؛ لجواز أن يكونوا في مراقدهم معذبين، ولهذا فإنه يصح أن يقول المريض الملازم للمرض تعذبت في مرقدي، فالمرقد يكون مع

---

(١) سورة الزمر :آية٦٨.

(٢) التفسير الكبير جـ٢٧ صـ٣٦، ٣٧.

(٣) سورة يس :آية٥٢.

(٤) أبكار الأفكار جـ٤ صـ٣٣٨.

الـــراحة تـــارة ومـــع مقابلها أخري، ويحتمل أن يقال بأن ما يلقونه من عذاب القبـــر بالنسبة إلي ما يلقونه من عذاب يوم القيامة يكون كالروح والراحة حالة كون الإنسان راقداً في مرقده، ولذلك قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا: أي ما كنا فيه من الروح والراحة بالنسبة إلي هذا العذاب." (١)

٣- ومـــن الشبه التي أثارها المنكرون لعذاب القبر ونعيمه قولهم: "إننا نـــري المـــيت أو المقـــتول أو المـــصلوب مدة طويلة لا يُسأل ولا يُجيب ولا يتحـــرك، ومـــن افترسته السباع ونهشته الطيور وتفرقت أجزاؤه في أجواف الـــسباع وحواصـــل الطـــيور ومدارج الرياح كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقها؟ وكـــيف يصير القبر علي ها روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟ كمـــا أنـــنا نكشف القبر فلا نجد فيه حيات ولا ثعابين، ولو وضعنا علي عيني الميت الزئبق، وعلي صدره الخردل لوجدناه علي حاله وكيف يفسح مد بصره أو يـــضيق علـــيه ونحن نجده بحاله ونجد ساحته علي حد ما حفرناها لا تزيد ولا تنقص؟" (٢)

ويجـــيب ســـعد الدين التفتازاني علي تلك الشبهة بقوله: "أنه لا عبرة بالاستبعاد مع إخبار الصادق، علي أنه لو سلم اشتراط الحياة بالبينة، فلابد أن يبقـــي مـــن الأجزاء الأصلية ما يصلح بنية، وأن يكون التعذيب والمسألة مع الروح أو الأجزاء الأصلية، فلا يشاهد الناظر، وأن يوسع القادر المختار اللحد

---

(١) أبكار الأفكار جـ٤ صـ٣٣٩.

(٢) انظر الروح صـ١٠٦.

بحيث يمكن الجلوس"[١]

"فعالم الغيب ليس فيه إلا التسليم ولا يمكن أن يقاس بعالم الشهادة"[٢]

"وخوارق العادات غير ممتنعة في مقدور الله تعالي"[٣] يقول ابن القيم: "إن الله سبحانه جعل الدور ثلاثاً دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وركَّب هذا الإنسان بن بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا علي الأبدان، والأرواح تبعاً لها، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة علي ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه، وجعل أحكام البرزخ علي الأرواح والأبدان تبعاً لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لها، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها، تجري أحكام البرزخ علي الأرواح فتسري إلي أبدانها نعيماً أو عذاباً كما تجري أحكام الدنيا علي الأبدان فتسري إلي أرواحها نعيماً أو عذاباً، فأحط بهذا الموضع علماً وأعرفه كما ينبغي يزيل عنك كل إشكال يورد عليك من

---

(١) شرح المقاصد لسعد الديت التفتازاني جـ٥ صـ١١٣ ت عبد الرحمن عميره ط عالم الكتب بيروت.

(٢) شرح العقيدة الواسطية صـ٤٨٩.

(٣) أبكار الأفكار جـ٤ صـ٣٣٩.

داخل أو خارج"[١] .

ويقول الإمام الغزالي أيضاً في رده علي تلك الشبهة: "إن هذه العين لا تـصلح لمـشاهدة الأمـور الملكوتـية، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكـوت، مـا تري الصحابةﷺ كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يـشاهدونه، ويؤمنون بأنهﷺ يشاهده، فإن كنت لا نؤمن بهذا فتصحيح أصل الإيمـان بالملائكـة والوحي أهم عليك، وأن كنت آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي مالا تشاهده الأمة فكيف لا تجوز هذا في الميت، وكما أن الملك لا يشبه الآدميـين والحيوانات، فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتُدْرك بحاسة أخري"[٢]

أحد الباحثين المحدثين ينكر الحياة البرزخية:

إذا كان الملاحدة والزنادقة وبعض الغلاة قد أنكروا عذاب القبر ونعيمه فقد أنكر د. أحمد صبحي منصور الحياة البرزخية بما فيها من سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه وغير ذلك بل وأنكر أن يكون للميت بعد موته أي إحساس أو شعور وأنـه يظـل علي حالته هذه إلي يوم البعث يقول: "لقد أنتقل الكائن الحقيقي داخل الجـسد- وهو النفس- إلي عالم البرزخ ودخل فترة كمون أو موت حيث لا يحس بأحـد ولا يحس به أحد، أن آخر لحظة إحساس للميت تكون ساعة الاحتضار في حـواره مع ملائكة الموت، وحين البعث في العالم الآخر يستعيد الإنسان ذكرياته

(١) الروح صـ١٠٨.
(٢) إحياء علوم الدين جـ٤ صـ٤٨٥.

ســريعاً، ويكون أول ما يتذكر هو لحظة موته، ويتخيل أنها كانت بالأمس القريب، يظن أنه مر عليه يوم أو بعض يوم، وينسي أنه مكث في البرزخ آلاف السنين"[١]

ويــستدل بــبعض الآيات التي فهم منها أنها تدل علي ما يقول ومنها قوله تعالي: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ﴾[٢].

يقــول عــن الذي مر علي القرية: [٣] "إنه حين استيقظ أو بعثه الله بعد مائـــة عـــام ظن أنه لبث يوماً أو بعض يوم فقط، إلي فقد الإحساس بما حوله طـــيلة مائـــة عـــام ، وأصـــبحت المائة عام مجرد نوم استمر يوما أو بعض اليوم"[٤]

والحــق أن هــذه الآيــة لا تــدل من قريب أو بعيد علي ثبوت الحياة البرزخية أو نفيها بل تتحدث عن شيء آخر وهو قصة هذا الرجل الذي طاف

---

(١) حقائــق المــوت فــي القــرآن الكريم د. أحمد صبحي منصور صـ٩١، ط دار الشرق الأوسط القاهرة ط١/١٤١١هـ،١٩٩٠م.

(٢) سورة البقرة :آية٢٥٩.

(٣) اخــتلفت الأقوال في المقصود بهذا الشخص الذي مر علي القرية فقيل هو غدير، وقيل هــو ارمــياء وكان نبياً وقيل هو الخضر أو إسماً وأحق اسم الخضر لأن- =الخضر كان معاصراً لموسي عليه السلام وهذا الذي مر علي القرية هو بعده بزمان من سبط هارون وقــيل هــو رجــل من بني اسرائيل غير مسمى" انظر الجامع لأحكام القرآن جـ٤صـ ٢٩٥،٢٩٦"

(٤) حقائق الموت في القرآن الكريم صـ٩٢.

بقـرية فلـم يجـد بها ساكناً وهي خاوية علي عروشها بعد أن كانت عامرة بالـسكان فقال: أني يحي هذه الله بعد موتها" أي متي يحي أو كيف يحي وهو اسـتبعاد لإحيائها وهي علي تلك الحالة المشابهة لحالة الأموات المباينة لحالة الأحـياء فأماتـه الله مائة عام ثم بعثه وسأله كم لبثت فقال: يوم أو بعض يوم فأخبـره بأنـه لبث مائة عام وأن الله تعالي قادر علي إعادته للحياة وأمره أن ينظـر إلي طعامه وشرابه ليري أنه لم يتغير بالرغم من مرور مائة عام عليه وينظـر إلـي حماره كيف تفرقت أجزاؤه وتحرت عظامه ثم أحياه الله وأعاده كما كان أو ينظر إليه قائماً في مربطه لم يصبه شيء بعد أن مضت عليه هذه المـدة ولنجعلك آية للناس. أي دلالة علي البعث بعد الموت[١] فالآيات تتحدث عن البعث لا عن الحياة البرزخية.

أمـا استـشهاده بقصة أهل الكهف وأنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة وتسع سنوات كاملة "وخلالها لم يحس أهل الكهف بما جري لمدينتهم من تقلب الأيام ومـوت أجـيال وحياة أجيال وانقراض حكام وقيام حكام"[٢] فهذه الآية لا تدل علي نفي الحياة البرزخية فأهل الكهف هؤلاء لم يكونوا أموات بل كانوا أحياء بدلـيل قـوله تعالـي: ﴿وَنُقَلِّـبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِـينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ وكذلك قوله تعالـي﴿فَـضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[٣] أما استشهاده بقوله

---

(١) انظر فتح التقدير جـ١ صـ٢٨٠، الجامع لأحكام القرآن جـ٤ صـ٣٠٠.

(٢) حقائق الموت في القرآن الكريم صـ٩٢.

(٣) سورة الكهف :آية١١.

تعالــي﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُــونَ﴾[١] وقــوله "أنه حين ينتهي البرزخ يظن أحدهم انه مات أو نام منذ ســاعة"[٢] فهــي أيــضاً لا تدل علي ما يدعي بقول القرطبي في تفسيره للآية الــسابقة "لــيس في هذا رد لعذاب القبر إذ كان قد صح عن النبيﷺ من غير طــريقة أنــه تعــوذ منه، وأمران يتعوذ منه...وفي معني مالبثوا غير ساعة قولان:

أحــدهما: أنه لابد من خمدٍ قبل يوم القيامة، فعلي هذا قالوا:مالبثنا غير ســاعةٍ، والقــول الآخــر أنهــم يعنون في الدنيا لزوالها وانقطاعها كما قال تعالــي﴿كَــأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[٣] يقول ابن حزم الأندلــسي فــي استدلاله علي ثبوت عذاب القبر: فإن اعترض معترض بقوله تعالي﴿لَبِــثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[٤] أو ما أشبهها من الآيات، فلا حجة لهم في ذلــك؛ لأن الله تعالي إنما حكي ذلك من قولهم، لا أنه تعالي أخبر أنه حقيقة، وإنما قالــوا لهــم هذا علي التقليل للمدة التي كانوا فيها في البرزخ وإشفاقاً من عظيم ما اشرفوا عليه، كما قال الله عز وجل﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ

---

(١) سورة الروم :آية٥٥.

(٢) حقائق الموت في القرآن الكريم صد٩٣.

(٣) سورة النازعات :آية٤٦. أنظر الجامع لأحكام القرآن جـ١٦ صد٤٥١.

(٤) سورة المؤمنون :آية١١٣.

بيـــنهم﴾[١] وكقــوله تعالي: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ونحـــن نقـــول- والكلام لابن حزم- إذا طال عمر أحدنا وحضره الموت كأنه لم يعـــش."[٢] أمـــا قوله أن القرآن ربط بين "آخر إحساس للميت قبل دخوله البرزخ وأول إحساس له بعد البعث وخروجه من البرزخ كي يبين أن البرزخ فترة لا زمن ولا إحـــساس ولا شـــعور فـــيها، وأن القرآن لا يجعل فاصلاً بين المرحلتين فيما يخص الشعور والحوار[٣] ويستدل بقوله تعالي﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَـــوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنـــتُمْ تَقُولُـــونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ *وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ ...﴾[٤] فهذه الآية لا تثبت ما يدعي من نفي للحياة البرزخية بل علي العكس من ذلك فيها دليل علي ثبوت الحياة البرزخية وذلك في قوله تعالي﴿ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُـــونِ﴾ فالمقصود باليوم هنا هو "اليوم الذي تُقبض فيه أرواحهم أو الوقت الذي يعذبون فيه والذي مبدؤه عذاب القبر"[٥] أما قوله بأن "قصة حساب القبر مستوحاة مـــن التـــراث الفرعونـــي حـــيث يمـــثل المـــيت أمام أوزيريس الذي يسأله عن

---

(١) سورة يونس :آية٤٥.

(٢) الأصول والفروع لابن حزم الأندلسي صـ٨٤ تحقيق، جماعة من العلماء، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١ ١٤٠٤هـ،١٩٨٤م.

(٣) حقائق الموت في القرآن الكريم صـ٩٤.

(٤) سورة الأنعام :آية٩٤،٩٣..

(٥) فتح التقدير جـ٢ صـ١٤٠.

أعماله...وأنه لم يرد في القرآن، شيء عن عذاب القبر أو نعيمه وأن من ابتعد عن القرآن فقد وقع في المتاهة[١] فهذا كلام لا أساس له من الصحة فعذاب القبر ونعيمه وارد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة وهو أمر مجمع علي ثبوته بين أهل السنة والجماعة وليس مأخوذاً من شيء غير القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة التي هي المصدر الثاني للتشريع وهذا أمر مجمع عليه لدي جمهور العلماء.

ومن هذه الأدلة قوله تعالى في حق آل فرعون: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾[٢]، وكذلك قوله تعالى في حق قوم نوح عليه السلام: ﴿ **أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً** ﴾ [٣]. والفاء للتعقيب، وما ثبت من أحاديث كثيرة تفيد هذا المعنى ومنها ما ثبت من أن النبي ﷺ سمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال ﷺ : " يعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال : بلى كان أحدهما لا يستبرأ من بوله وكان الآخر يمشي بالنميمة ... الحديث " [٤]. وقد حفظ الله سبحانه وتعالي سنة النبيﷺ وذلك بأن قيَّض لها رجالاً علي قدر كبير من العلم والحفظ والفهم، كرسوا حياتهم لخدمتها، وجمعها وتصنيفها وتمحيصها بدقة وأمانة وإخلاص في نقلها كما جاءت عن رسول اللهﷺ ومن أراد معرفة ذلك

---

(١) حقائق الموت في القرآن الكريم صـ١٠٠،٩٦،٩٥.

(٢) سورة غافر آية ٤٦.

(٣) سورة نوح آية ٢٥ .

(٤) فتح الباري ج١/٢٥٢ .

بالتفــصيل فليــراجع علــم "مصطلح الحديث" وإتباع سنة النبيﷺ هي إتباع أيضاً للقرآن الكريم فقد أمرنا الله سبحانه وتعالي في كتابه العزيز في أكثر من آية بإتباع الرســولﷺ والأخــذ بسنته ومن ذلك قوله تعالي: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَــإِن تَنَازَعْــتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[2] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَــا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[3]

أسباب عذاب القبر :

يقــول ابن القيم: "والأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور علي قسمين مجمــل ومفصل، أما المجمل فإنهم يعذبون علي جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكــابهم لمعاصــيه، فــلا يعــذب الله روحاً عرفته وأحبته وامتثلت أمره واجتنــيت نهــيه، ولا بدناً كانت فيه أبداً، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غــضب الله وسخطه علي عبده، فمن اغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يــتب ومــات علــي ذلك كان له من عذاب البرزخ يقدر غضب الله وسخطه

---

(1) سورة آل عمران :آية١٣٢.

(2) سورة النساء :آية٥٩.

(3) سورة النور :آية٥٤.

عليه"[١]

أما المفصل فقد ورد في كثير من الأحاديث تمازج منه[٢]مثال ذلك:

١- النميمة وعدم الاستبراء من البول :

عـــن ابن عباس ﷺ قال: مر النبيﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال النبيﷺ فقال النبيﷺ "يعذبان ومـــا يعـــذبان في كبير" ثم قال: "بلي كان احدهما لا يستتر من بوله[٣] وكان الآخر يمشي بالنميمة[٤] ثم دعي بجريدة رطبة فكسرها كسرتين فوضع علي كل قبر منهما كسرة فقيل له يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: لعله أن يخفف

---

(١) الروح لابن قيم الجوزية صـ١٢٨، أنظر لوامع الأنوار البهية جـ٢ صـ١٧.

(٢) وردت أحاديث كثيرة في ذكر أسباب عذاب القبر سنقتصر هنا علي ذكر ما صح منها.

(٣) الاســـتتار أنه لا يجعل بينه وبين بوله سترة أي لا يتحفظ منه وفي رواية "لا يتنزه" من التنـــزه وهـــو الإبعاد وفي رواية أخري. كان لا يتوقى وهي مفسرة للمراد، وأجراه بعـــضهم علي ظاهرة فقال معناه: لا يستر عورته، وضعف بأن التعذيب لو وقع علي كشف العورة يستقل الكشف بالسببية وطرح اعتبار البول فيترتب العذاب علي الكشف ســـواء وجد البول أم لا، أما رواية الإستبراء فهي أبلغ في التوقي " فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ١ صـ٢٥٤ ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان"

(٤) التميمة: هي نقل كلام الناس بعضهم إلي بعض علي جهة الإفساد، أما إذا دعت الحاجة إلـــيها أو كان فيها مصلحة شرعية فلا مانع منها، كما إذا أخبره بأن إنساناً يريد الفتك بـــه أو بأهله أو بماله، أو أخبر الإمام أو من له الولاية بأن إنساناً يفعل كذا، أو يسعي بمـــا فـــيه مفسدة ويجب علي صاحب الولاية الكشف عن ذلك وإزالته، فكل ذلك وما أشبهه ليس بحرام، وقد يكون بعضه واجباً وبعضه مستحباً بحسب المواطن. "صحيح مسلم بشرح النووي جـ١ صـ١٦٠ ط بيت الأفكار الدولية".

عنهما ما لم ييبس"[١]

٢- الغلول[٢] :

ومن الذنوب المسببة لعذاب القبر الغلول "فقد أخبرنا النبيﷺ عن صاحب الشملة التي غلها من المغنم أنها تشتعل عليه ناراً في قبره"[٣]

فعن أبي هريرةؓ قال: أهدي رجل لرسول الله ﷺ غراماً يقال له مِدْعم فبينما مدعم يحط رحلاً لرسول الل هﷺ إذا أصابه سهم عائر فقتله فقال الناس: هنيئاً له الجنة فقال الرسول ﷺ "كلا والذي نفسي بيده إذ الشملة التي أخذها يوم خيبر من المني ثم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً...الحديث. [٤]

٣- عذاب الميت بالبكاء عليه :

اختلفت أقوال العلماء في إثبات عذاب الميت بالبكاء عليه أو نفيه وحجتهم في ذلك ما رواه عمرؓ قال: **قال رسول اللهﷺ : أن الميت يُعَذَّب ببعض بكاء أهله عليه" فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها بعد موت عمرؓ**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب من الكبائر ألا يستتر من بوله، صحيح مسلم، كتاب الطهارة باب الدليل علي نجاسة البول ووجوب الاستيراء منه ح/١١١/٢٩٢.

(٢) الغُلُول: الخيانة، واصلة السرقة من مال الغنيمة قبل القسمة "صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الطهارة صد٢٥١.

(٣) الروح صد١٢٩.

(٤) الحديث رواه البخاري/ كتاب الجنائز/ باب قول النبيﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته ح/١٢٨٨.

فقالـــت: رحـــم الله عمـــر والله ما حدَّث رسول الله ﷺ أن الله ليعذب المؤمن بـــبعض بكـــاء أهله عليه ولكن رسول الله ﷺ قال: "إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه" وقالت حسبكم القرآن﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[١]

واختلاف العلماء حول هذا الحديث يتمثل في نقطتين هما:

١- هل قال النبي ﷺ هذا الحديث أم لا؟

٢- كـــيف يعذب الميت بالبكاء عليه والله تعالي يقول: **﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾**[٢]

قـــال ابن حجر: إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه إذا كان ذلك من ســـنته لقوله تعالي**﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾**[٣] وقوله ﷺ **"كلكم راع ومسئول عـــن رعيته"**[٤] فإذا لم يكن من سنته فهو كما استدلت عائشة رضي الله عنها بقوله تعالي: **﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾**

كمـــا أيد ذلك القرطبي بقوله: "قال علماؤنا أو أكثرهم إنما يُعذَّب الميت بـــبكاء الحي إذا كان البكاء من سنة الميت واختياره كما ورد من قول القائل: إذا أنـــا مـــت فانعيني بما أنا أهله.:.وشقي عليَّ الجيب يا ابنه معبد وكذلك إذا

---

(١) سورة الإسراء :آية١٥.

(٢) سورة الإسراء :آية ١٥.

(٣) سورة التحريم :آية٦.

(٤) فتح الباري جـ٣ صد١٥٠.سنن الترمذي جـ٣ صد٣٢١.

وصي به"[١]

وممـــن أيـــد هذا الرأي أيضاً القاضي عبد الجبار: ويتجلى في ذلك في قوله "وتعذيب القبر بذنب الغير ظلم، والله تعالي لا يفعل ذلك، وتفسير قوله ﷺ أن المـــيت ليعذب علي بكاء أهله أي علي الوصية بذلك، فكان من عادة القوم الوصية بالبكاء والنوح عليهم." [٢]

وقيل أن الميت يصيبه عذاب ببكاء الحي عليه وأن لم يكن من سنته ولا مـــن اختـــياره ولا ممـــا أوصي به واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة منها: ما روى عـــن أبـــي صالح عن عمر قال: لما طعن عمر أغمى عليه فصيح عليه فلمـــا أفـــاق قـــال : أما علمتم أن رسول الله ﷺ قال: " **أن الميت ليعذب ببكاء الحي** " [٣]

ومـــن الأدلة التي استدل بها أصحاب هذا الرأي أيضاً حديث النعمان بن بـــشير قـــال: أغمي علي عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي وتقول: واجـــبلاه. وكذا وكذا تعدد عليه، فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلا قيل لي ألأنت كذلك؟ فلما مات لم تبك عليه وهذا لم يكن من سنة عبد الله بن رواحة، ولا من اختـــياره ولا مما أوصي به فصابه في الدين أجل وأرفع من أن يأمر بهذا أو

---

(١) التذكرة صد١١٢.

(٢) شرح الأصول الخمسة صد٧٣٢.

(٣) صحيح مسلم – كتاب الجنائز – باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

يوصيِّ به. [١]

الأسباب المنجية من عذاب القبر :

١- من مات مرابطاً في سبيل الله[٢]

عن فضالة بن عبيد عن النبيﷺ قال: "كل ميت يختم علي عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله. فإنه ينمي له عمله إلي يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر"[٣]

٢- الشهيد

فقد ورد عن النبيﷺ أن من خصال الشهيد عند الله تعالي أنه يجار من عذاب القبر ففي حديث المقدادين معد يكرب" قال قال رسول اللهﷺ: " **للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويري مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر...الحديث"[٤] وقد ورد أن سبب نجاة الشهيد من فتنة القبر أنه "قد أمتحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيف علي رأسه فلم يفر، فلو كان منافقاً لما صبر لبارقة السيف علي رأسه، فدل علي أن إيمانه هو الذي**

---

(١) التذكرة صد١١٣.

(٢) الرباط هو: الملازمة في سبيل الله لثغر من ثغور المسلمين أما سكان الثغور دائماً بأهلهم الذين يعمرون ويكتسبون هناك منهم وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين "التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة صد١٦٩.

(٣) سنن أبي داود/ كتاب الجهاد، باب فضل الرباط ح/٢٥٠٠.

(٤) سنن أبي داود/ كتاب الجهاد، باب فضل الرباط ح/٢٥٠٠.



حملـــه علـــي بـــذل نفسه لله وتسليمها له، وهاج من قلبه حمية الغضب لله ورســـوله وإظهـــار دينه واعتزاز كلمته وقد أظهر صدق ما في ضميره من حيث برز للقتل فاستغني بذلك عن الامتحان في قبره." [1]

قـــال القرطبـــي: وإذا كان الشهيد لا يفتن فالصدّيق أجل خطراً وأعظم أجـــراً فهو أحرى ألا يفتن؛ لأنه المقدم ذكره في التنزيل علي الشهداء في قوله تعالـــي: ﴿فَأُولَـــئِكَ مَـــعَ الَّـــذِينَ أَنْعَـــمَ اللّـــهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء﴾[2] وقد جاء في المرابط الذي هو أقل مرتبة من الشهيد أنه لا يفتن فكيف بمن هو أعلي مرتبة منه ومن الشهيد. [3]

واعتـــرض ابـــن القيم علي ذلك بقوله: "والأحاديث الصحيحة ترد هذا القول وتبين أن الصدّيق يسأل في قبره كما يسأل غيره"[4]

الاستعاذة من عذاب القبر :

ومـــن الأمور المنجية من عذاب القبر الاستعاذة منه فقد ثبت أن النبيﷺ كـــان يستعيذ منه في صلاته وفي غيرها وكان يأمر صحابته بذلك ومن أمثلة ذلك قولهﷺ "تعوذ بالله من عذاب القبر"[5]

([1]) الروح صـ١٣٧،١٣٦.

([2]) سورة النساء :آية٦٩.

([3]) التذكرة صـ١٧٢.

([4]) الروح صـ١٣٧.

([5]) رواه مسلم مطولا كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ح/٦٧/٢٨٦٧.

ومــن ذلك أيضاً ما رواه أبو هريرةﷺ قال قال رسول اللهﷺ **"إذا تشهد أحــدكم فليــستعذ بالله من أربع يقول: اللهم أني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومــن عــذاب القبــر، ومــن فتــنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال"**(١)

وقــد ذكر ابن قيم الجوزية أن من أنفع الأسباب المنجية من عذاب القبر إجمــالاً هي "أن يجلس الرجل قبل نومه ساعة يحاسب نفسه فيها علي ما عمل فــي يومه ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله وينام علي تلك التوبة ويعزم علــي ألا يعاود الذنب إذا استيقظ ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات علــي تــوبة وإن اســتيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله حتى يــستقبل ربــه ويــستدرك ما فآته وليس للعبد أنفع من هذه النومة ولاسيما إذا عقــب ذلــك بذكــر الله واســتعمال السنن التي وردت عن رسول اللهﷺ عند النوم...فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك. (٢)

هل تعاد الروح إلى الجسد في القبر؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة آراء رئيسية هي:

١ – رأي أهل السنة :

" إن المــيت يكــون في نعيم و عذاب وذلك يحصل لروحه ولبدنه يقول

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب يستعاذ منه في الصلاة ح/٥٨٨.

(٢) الروح صـ١٣٢.

الإمـــام ابـــن تيمية " النعيم والعذاب يقع على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل الـــسنة والجماعـــة تُنَعَّم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتعذب متصلة بالبدن والـــبدن متصلة بها فيكون العذاب والنعيم عليهما في هذه الحال مجتمعين " (١) كمـــا جـــاء فـــي شرح الطحاوية أن " عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة " (٢).

أدلة أصحاب هذا الرأي :

استدل أصحاب هذا الرأي بما ورد عن النبي ﷺ من أحاديث كثيرة تفيد وقوع العذاب والنعيم على الروح والجسد معاً ومنها:

١ – حـــديث ســـؤال الملكين للميت عن دينه وربه ونبيه . أما المؤمن فيقول: " ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ . فينادي مناد من السماء أن صـــدق عـــبدي فافرشوا له في الجنة ، وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويوسع له مد بصره وأن الكافر يسأل عن ربه وديـــنه ونبيه فيقول : ها ها لا أدري. فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشـــوا لـــه مـــن الـــنار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النـــار .... الحديـــث "(٣).

قال ابن تيمية : " فقد صرح الحديث بإعادة الروح إلى الجسد .

---

(1) مجموع فتاوي ابن تيمية ج ٤ ص ١٧٤ ط. دار الوفاء ط١ ١٤١٨هـــ – ١٩٩٧م.

(2) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص ٣٣٤ .

(3) سنن الترمذي / كتاب الجنة ، باب ما جاء في عذاب القبر ح/ ١٠٧١ .

وهذا بيّن في أن العذاب على الروح والبدن مجتمعين [١].

٢ – ما ورد في سنن أبي داود عن البراء بن عازب في حديث عن سؤال الملكين للميت ذكر فيه " ثم تعاد فيه الروح " [٢].

الرأي الثاني :

أن النعيم والعذاب في البرزخ يقع على الروح دون البدن وهو رأي ابن حزم الظاهري والفخر الرازي ومن وافقهم، واستدل أصحاب هذا الرأي على قولهم بعدة أدلة منها :

١ – أن الله تعالى ذكر في كتابه الكريم أماتيين وإحياءين ولو كان العذاب في القبر يقع على الروح والبدن لكان الله تعالى قد أماتنا ثلاثة وأحيانا ثلاثة وهذا باطل وخلاف للقرآن إلا ما جاء معجزة[٣].

٢ – قوله تعالى في حق الشهداء: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [٤].

---

(1) مجموع الفتاوي ج ٤ ص ١٧٨ .

(2) سنن أبي داود كتاب السنة ، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر ح/ ٤٧٥٣، دار الريان للتراث ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(3) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم القاهري الأندلسي ج ٤ ص ٥٦ ط. مكتبة السلام العالمية – القاهرة .

(4) سورة آل عمران آية ١٦٩ .

وهذا الرزق يكون للأرواح ولا يكون إلا في الجنة [١].

٣ – أن النبي ﷺ قد أخبر " أنه رأى الأرواح ليلة أن سرى به عند سماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام أرواح أهل السعادة ، وأرواح أهل الشقاء عن شماله، وخاطب عليه السلام يوم بدر القتلى من المشركين ، وأخبر أنهم وجدوا ما توعدهم به حقاً قبل أن يكون لهم قبور فقال المسلمون : يا رسول الله أتخاطب قوماً قد جيفوا. فقال عليه السلام: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم فلم ينكر عليه السلام على المسلمين قولهم أنهم قد جيفوا وأعلمهم أنهم سامعون ، فصح أن ذلك لأرواحهم فقط بلا شك أما الجسد فلا حس له [٢].

ويقول الإمام فخر الدين الرازي في تأييده لهذا الرأي :

" حيث إن الإنسان جوهر لطيف نوراني ساكن في هذا البدن فبعد خراب هذا البدن إن كان كاملاً في قوله العلم والعمل كان في غبطة والسعادة، وإن كان ناقصاً كان في البلاء والعذاب ، والدليل على ذلك ما ورد في حق السعداء من قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾[٣].

وما ورد في حق الأشقياء من قوله تعالى: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا**

---

(1) الفصل ج ٤ ص ٥٧ .

(2) المرجع السابق ص ٥٦ .

(3) سورة آل عمران آية ١٦٩ ، ١٧٠.

غُدُواً وَعَشِياً ﴾[١]، وقوله تعالى : ﴿ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً ﴾ [٢].

الرد على هذه الشبهات:

يقول الإمام ابن القيم في رده على هذه الشبهات:

١ – إن المـــراد بالحـــياة الثانية في القبر أنها حياة لا تنفى إطلاق اسم الميت عليه بل هي أمر متوسط بين الموت والحياة كتوسط النوم بينهما وعلى ذلك.

مـــن ظن أن الميت يحيا في قبره إن أراد بها الحياة المعهودة في الدنيا التـــي تقـــوم فـــيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه ، ويحتاج معها إلى الطعام والـــشراب فهـــذا خطأ، والعقل والشرع يكذبه ، وإن أراد بها حياة أخرى غير هذه الحياة وإعادة أخرى غير هذه الإعادة المألوفة في الدنيا للسؤال والامتحان في القبر فهذا حق ونفيه خطأ " [٣].

٢ – أمـــا اســـتدلالهم بقوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَـــيْنِ ﴾[٤]، وقولهم إن الميت لو كان يحيا في قبره لكان الله تعالى قد أماتنا ثلاثـــاً وأحـــياناً ثلاثـــاً وهذا خلاف ما أثبته القرآن الكريم ، فالجواب عنه أنه

---

(1) سورة غافر آية ٤٦ .

(2) ســـورة نـــوح آية ٢٥. انظر أصول الدين للإمام فخر الدين الرازي ص ١٢١ ط. مكتبة الكليات الأزهرية .

(3) انظر الروح ص ٧٥ .

(4) سورة غافر آية ١١ .

يحتمل أن الحياة الثالثة لم تذكر ؛ لأنها أمر مفهوم .

يقــول ابن القيم في الرد على استدلالهم بهذه الآية : "إن هذا لا ينفي ثبوت هــذه الإعادة العارضة للروح في الجسد، كما أن قتيل بني إسرائيل الذي أحياه الله بعــد قتله ثم أماته لم تكن تلك الحياة العارضة له للمسائلة معتداً بها فإنه حي لحظة بحــيث قــال: فلان قتلني ثم خر ميتاً فلم تكن تلك الحياة العارضة له للمسائلة له معتداً بها ، ولهذا لم تذكر"[1].

٣ – أمــا قــوله تعالى في حق الشهداء: أنهم أحياء عند ربهم يرزقون. فــإن هذا يكون في الدنيا بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُــوا بِهِم ﴾ وهؤلاء الذين لم يلحقوا بهم لا يزالون بلا شك أحياء لم يموتوا .

٤ – أمــا استدلالهم بإخبار الرسول ﷺ بأنه رأى الأرواح ليلة أسري به فهــذا لا ينفي اتصال الروح بالبدن للعذاب أو النعيم فالروح لها اتصال بالبدن صــعوداً أو هــبوطاً في زمن يسير " فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقــه فــراقاً كلياً . بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة فهناك من الأحاديث والآثــار مــا يدل على ردها إليه وقت سلام المسلم "[2]. فليس صعود الروح وهبوطها وقربها بوعدها من جنس ما للبدن.

---

(1) الروح ص ٧٥ .

(2) الروح ص ٧٦ .

٥ – أمـا استدلالهم بقول الصحابة للنبي ﷺ في قتلى بدر: كيف تخاطب قوماً قد جيفوا مع إخبارهم بسماعهم كلامه " فإن ذلك لا ينفي رد أرواحهم إلى أجـسادهم فـي ذلك الوقت رداً يسمعون به خطابه بطريقة نعجز عن إدراكها بحواسنا "[١].

الرأي الثالث :

وهـو رأي ابـن جرير الطبري والكرامية يقولون :" إن السؤال والنعيم والعـذاب يكـون للبدن بلا روح "[٢]. وإن الله تعالى يخلق فيه إدراكاً بحيث يـسمع ويعلم ويلذ ويألم ، وهذا فاسد؛ لأن الألم والإحساس إنما يكونان عادة فـي الحي ولا حياة عادة إلا بالروح ، وكذلك لما ثبت من نصوص كثيرة تفيد وقـوع العـذاب والنعيم على الروح والجسد معاً ، ومنها قوله تعالى: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُـونَ عَلَـيْهَا غُـدُواً وَعَشِياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾[٣].

فهـذا العـرض يكـون في القبر بدليل قولـه تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ** ﴾[٤].

فلا شيء بعد الموت وقبل الساعة إلا فترة البرزخ .

---

(1) المرجع السابق ص ٧٩ .

(2) انظـر حاشـية محمـد بن الأمير على شرح عبد الله بن إبراهيم المالكي لجوهرة التوحيد ص ١٤٢ .

(3) سورة آية .

(4) سورة آية .

الحكمة من عدم سماع الإنسان لعذاب القبر:

وفي عدم سماع الإنسان عذاب القبر حكم عظيمة منها :

١- ما أشار إليه النبيﷺ بقوله : **"لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر"** .[١]

٢- أن في إخفائه ستراً للميت وعدم إزعاج لأهله، وعدم تخجيلهم.

٣- أن سماع عذاب القبر يمكن أن يؤدي إلي الهلاك فصيحة المعذَّب ربما يؤدي إلي موت الإنسان الحي أو الإغماء عليه[٢]

٤- "لو أطلع الله العباد علي ذلك لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب." [٣] ولأصبح الإيمان بعذاب القبر من باب الإيمان بالشهادة لا من باب الإيمان بالغيب وحينئذ تفوت مصلحة الامتحان لأن الناس سوف يؤمنون بما شاهدوه قطعاً[٤] "ولما كانت هذه الحكمة منتقية في حق البهائم سمعت وأدركت"[٥]

حياة الشهداء في البرزخ :

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه – ح ٢٨٧٦ .

(٢) أنظر شرح العقيدة الواسطية صد٤٨٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية صد٣٣٥.

(٤) شرح العقيدة الواسطية صد٤٨٣.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية صد٣٦٦.

قـال الله تعالـي﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾[١]

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٢] وقـد اختلف العلماء في حقيقة حياة الشهداء في القبور هل هم أحياء بعد الموت مباشرة في القبر؟ أو أن معني حياتهم هو ذكرهم الجميل في الدنـيا أم أن من وقت استشهادهم إلي يوم القيامة تكون مدة قصيرة عليهم إلي آخر مثل هذه الأقوال.

قـال الإمـام فخر الدين الرازي: "أنهم في الوقت إحياء كأن الله تعالي أحـياهم لإيـصال الـثواب إليهم وهذا قول أكثر العلماء، وهذا دليل علي أن المطيعـين يـصل ثوابهم إليهم وهم في القبور، فإن قيل: نحن نشاهد أجسادهم ميتة في القبور فكيف يصح ما ذهبتم إليه؟ فالجواب أن البنية ليست شرطاً في الحـياة ولا امتـناع فـي أن يعـيد الله الحـياة إلي كل واحد من تلك الذرات والأجزاء الصغيرة من غير حاجة إلي التركيب والتأليف."[٣] كما يؤيد القول بهذا الرأي وجوه أخري منها:

١- الآيات الدالة علي عذاب القبر كقوله تعالي﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ

---

(١) سورة البقرة :آية١٥٤.

(٢) سورة آل عمران :آية١٦٩.

(٣) التفسير الكبير جـ٣ صـ١٥٤.

وَأَحْيَيْتَـــنَا اثْنَتَـــيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[١] ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُـــوا نَـــارًا﴾[٢] وإذا ثبت عذاب القبر وجب القول بثواب القبر أيضاً، لأن العـــذاب حـــق لله تعالي علي العبد، والثواب حق للعبد علي الله تعالي، فإسقاط العقاب أحسن من إسقاط الثواب.

٢- أن قـــوله تعالي﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم﴾[٣] دليل علي حصول الحياة في البرزخ قبل البعث.

٣- أنـــه قـــد ثبت في أحاديث كثيرة أن القبر يكون روضة من رياض الجـــنة، أو حفـــرة من حفر النار، كما ثبت أن النبيﷺ كان يتعوذ من عذاب القبر والأحاديث في ثواب القبر وعذابه كالمتواتر" [٤]

وقـــال أبـــو القاســـم الكعبي من المعتزلة: "أنهم سيصيرون في الآخرة أحـــياء؛ وذلـــك لأن المنافقـــين الـــذين حكي الله عنهم ما حكي كانوا يقولون أصحاب محمدﷺ يعرضون أنفسهم للقتل فيقتلون ويخسرون الحياة ولا يصلون إلـــي خير، وإنما كانوا يقولون ذلك لجحدهم البعث والميعاد، فكذبهم الله تعالي ويبـــين بهـــذه الآيـــة أنهـــم يبعـــثون ويرزقون ويصل إليهم الفرح والسرور

---

(١) سورة غافر :آية ١١.

(٢) سورة نوح :آية ٢٥.

(٣) سورة آل عمران :آية١٧٠.

(٤) التفسير الكبير جـ٣/صـ١٣٣.

والبشارة[١]

٣- وقـــال بعض المفسرين أن أرواح الشهداء أحياء وهي تركع وتسجد كــل لــيلة تحــت العرش إلي يوم القيامة بدليل قوله تعالي﴿**أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُــرْزَقُونَ**﴾ ولفــظ عند كما أنه مذكور هنا مذكور كذلك في صفة الملائكة في قوله تعالي﴿**وَمَــنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ**﴾[٢] فكما أن السعادة حاصلة للملائكة لكونهم عند الله كذلك السعادة حاصلة للشهداء لكونهم عند الله." [٣]

٤- لــيس المراد من كونهم أحياء حصول الحياة فيهم بل المراد بعض المجازات وبيانه من وجوه الأول:

قـــال الأصـــم البلخي: أن الميت إذا كان عظيم المنزلة في الدين وكانت عاقبته يوم القيامة البهجة والسعادة والكرامة صح أن يقال انه حي وليس بميت كمـــا يقـــال للجاهـــل الـــذي لا يـــنفع نفـــسه ولا ينفع به أحد انه ميت وليس بحـــي...فلاشـــك أن الإنسان إذا خلف ثناءاً جميلاً وذكراً حسناً فإنه يقال علي سبيل المجاز أنه ما مات بل هو حي"[٤]

٥- **وقـــال القرطبـــي:** أن الصحيح من الأقوال أن أرواحهم في أجواف طيــر خــضرِ وأنهم يرزقون في الجنة ويأكلون ويتنعمون واستدل علي ذلك

(١) التفسير الكبير جـ صـ٧٣. .

(٢) سورة الأنبياء :آية١٩.

(٣) التفسير الكبير جـ٥ صـ٧٦.

(٤) التفسير الكبير جـ صـ٧٦.

بحـــديث ابــن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ **"لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهـــم في جوف طير خضرٍ ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلـــي قـــناديل مـــن ذهـــب معلقـــة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقبلهم قالوا: من يُبَلِّغُ إخواننا عنا إنا أحياء في الجنة نُرْزَق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يتكلوا عن الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم قـــال: فأنذل الله ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا﴾**[1] "وما صح بـــه الـــنقل فهـــو الواقع، وحديث ابن عباس نصه يرفع الخلاف[2] وأيد شارح الطحاويـــة هـــذا الرأي بقوله أن الحكمة في كون أرواحهم في حواصل طير خـــضر أنهـــم "لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداؤه فيه، أعاضهم مـــنها فـــي البرزخ أبداناً خيراً منها تكون فيها إلي يوم القيامة، ويكون تعليمها بواســـطة تلك الأبدان أكمل من تنعيم الأرواح المجردة عنها ولهذا كانت نسمة المـــؤمن في صورة طير أو كطير ونسمة الشهيد في جوف طير، ومعلوم أنها إذا كانـــت فـــي جـــوف طير صدق عليها أنها طير فتدخل في عموم أوصاف أرواح المؤمنـــين فنصيبهم من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات علي فرشهم." [3]

---

(1) سنن أبي داود، ح ٢٥٢٠.

(2) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج٥ صـ٤٠٩.

(3) شرح الطحاوية للعقيدة السلفية للإمام محمد بن أبي العز الحنفي صـ٣٨١.

فهرس المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانياً :

(١) الله والإنسان لعبد الكريم الخطيب ط. دار الفكر العربي .

(٢) الأصــول والفــروع لابن حزم الأندلسي، ت جماعة من العلماء ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

(٣) أبكــار الأفكــار في أصول الدين للإمام سيف الدين الآمدي ت د. أحمد المهدي، ط دار الكتب والوثائق القومية القاهرة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٤) الإســلام يــتحدى أ. وحـيد الدين خان – ترجمة ظفر الدين خان ط. المختار الإسلامي – القاهرة ١٩٧٣ .

(٥) التمهـيد فــي أصول الدين أو التمهيد لقواعد التوحيد للإمام أبي المعين النــسفي الحنفــي الماتــريدي، ت الــشيخ محمد عبد الرحمن الشاغول الشافعي الأشعري، ط المكتبة الأزهرية للتراث.

(٦) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي ط: مكتبة زهران، القاهرة.

(٧) تحفــة المــريد علــي جوهرة التوحيد: لشيخ الإسلام إبراهيم بن محمد البــيجوري، وبهامش جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني وتقريرات لأحمد

الأجهوري ط مطبعة مصطفي الحلبي، الطبعة الأخيرة ١٣٥٨هـ ١٩٣٩ م.

(٨) التعـريفات للجرجانـي علي بن محمد بن علي، ت إبراهيم الإبياري ط دار الكتاب العربي ط١ ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٩) التفـسير الكبير المسمي بمفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

(١٠) التذكـرة فـي أحـوال الموتى وأمور الآخرة لشمس الدين أبي عبد الله القرطبي نشر:مكتبة الدعوة بالأزهر القاهرة.

(١١) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ إسماعيل بن كثير .

(١٢) الجامـع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ط مؤسسة الرسالة ط١ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(١٣) حاشية محمد بن الأمير علي شرح عبد السلام ابن إبراهيم المالكي علي جوهرة التوحيد ط مطبعة عيسي اليابي الحلبي القاهرة.

(١٤) حاشية علي شرح أم البراهين لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي وبهامشه شـرح أم البـراهين ط مطـبعة مصطفي اليابي، حقائق الموت في القرآن الكـريم د. أحمـد صبحي منصور ط دار الشرق الأوسط القاهرة ١٤١١هـ

١٩٩٠م.الحلبي الطبعة الأخيرة ١٣٥٨هـ ١٩٨٥م.

(١٥) دلالات المـــصطلح في التصوف الإسلامي د. إبراهيم محمد ياسين ط. دار المعارف ١٩٩٩ .

(١٦) الروح للحافظ شمس الدين بن القيم الجوزية، ت محمد فريد، ط المكتبة التوفيتية القاهرة.

(١٧) سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ط دار الريان للتراث القاهرة.

(١٨) شـــرح الطحاوية في العقيدة السلفية لقاضي القضاة العلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفيّ أحمد شاكر ط مكتبة التراث القاهرة.

(١٩) شـــرح الأصـــول الخمـــسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق الإمام الحـــسين بـــن أبي هاشم، تحقيق .د. عبد الكريم عثمان ط: مكتبة وهبه القاهرة ط٢/ ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٢٠) شرح جوهرة التوحيد المسمي إتحاف المريد بجوهرة التوحيد للشيخ عبد السلام القاني، ت محمد محي الدين عبد الحميد ط مطبعة السعادة ط١/ ١٣٣٩هـ ١٩٤٩م.

(٢١) شـــرح العقـــيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين إعداد فهد بن

ناصـــر بـــن إبـــراهيم السليمان ط دار الثريا للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٢٢) شـــرح المقاصد للعالم الإمام مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، ت د. عبد الرحمن عميرة، ط عالم الكتب بيروت.

(٢٣) صـــحيح مسلم بشرح النووي، ت عصام الصابطي ، حازم محمد عماد، ط دار الحديث القاهرة.

(٢٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.

(٢٥) الفصل في الملل والهواء والنحل للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي ط مكتبة السلام العالمية.

(٢٦) فـــتح القديـــر الكـــشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه الـــتأويل لأبـــي القاســـم محمود بن عمران الزمخشري ط دار المعرفة بيروت لبنان.

(٢٧) لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف.

(٢٨) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني.

(٢٩) المواقـــف للإمـــام عـــضد الـــدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي بشرح الـــشريف الجرجاني، ت د. عبد الرحمن عميرة ط دار الجيل بيروت ط

١/ ١٤١٧هـ ١٩٧٧م.

(٣٠) من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة د. محمد السيد الجليند ط. مكتبة الزهراء – القاهرة .

(٣١) معـــارج القبول بشرح سلم الوصول إلي علم الأصول في التوحيد للشيخ حافظ ابن أحمد الحكيمي، ت عمر بن محمود أبو عمر، ط دار ابن القيم للنشر والتوزيع بالدمام ط١/١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

(٣٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ط دار الوفاء ط١/ ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.